



خلف أبواب النجاة

رواية جماعية

مجموعة كاتبات

إشراف و تصميم:
الكاتبة عبير

المقدمة:

هل تود قراءة هذا الكتاب حقا....

قد تجد نفسك في المسابقة.....

أمام أحد الأبواب...

عندها استمع للباب الذي اختارك...

أو ادفع روحك ثمنًا له...

قد لا تكون الحياة كما نختارها دائما، فأحيانا تعكس
الدفة، وتختلف الإتجاهات...

أحيانا لا نستطيع أن نواجه أنفسنا...فنتوقف في منتصف
الطريق...ليس لأننا فشلنا بل لأننا لم نستطع سوى أن
نستسلم للواقع.

هكذا وقفت تلك الأجساد بأرواح خاوية، أمام أبواب
ظنوا أنها اختارتهم لكنهم هم من اختاروها، بما تربى
داخلهم حتى كاد يفسد.

في غرفة حجرية، تجمدت قطرات الرطوبة في سقفها
رعبا..تشاهد المشهد في صمت قاتل.

الفصل الأول

باب الندم



المتهم و الضحية...على عرش الوهم

وطئتُ عتبة ذلك الباب وأنا ممتلئة بظنٍ طفوليٍّ بأنني استثناء.

كنتُ أرقب العابرين الخارجين منه، بوجوههم الشاحبة و عيونهم التي انطفأ بريقها، فأبتسم في سرِّي بزهوٍ ساذج، وأهمس لنفسي: "أنا لستُ كهؤلاء... لستُ ممن ينكسرون. لقد اخترتُ أصدقائي بقلبي، وأحببتُ من وثقتُ بأنه يحبني بنفس القدر، أما ذكرياتي... فقد كانت أجمل ما أملك في هذه الدنيا."

يا لسخافة اليقين حين نجهل ما يخبئه الغد!
ما إن خطوتُ خطوةً واحدةً داخل الغرفة، حتى أغلق الباب خلفي بصلابةٍ مرعبة. التفتُ خائفة، ووجدتُ مكتوبًا على خشب الباب القديم عبارةً لم ألاحظها من قبل: "باب الندم". وقبل أن أفهم ما يحدث، خرج صوتٌ من وسط الظلام، كان هادئًا بشكلٍ يخيف:

"أهلاً بك."

ثم حلّ صمتٌ طويل... صمتٌ بارد جعلني أشعر أن حتى أنفاسي غريبة عن المكان. حاولتُ أن أفتح الباب وأخرج بكل ما أملك من قوة، لكنه كان يزداد انغلاقاً، حتى عرفتُ أنه لا مجال للعودة. ابتسمتُ بسخرية لأطرد خوفي، وأكملتُ طريقي بثقة، وفجأة... عاد الصوت مجدداً، وقال ببرود:

"انبدأ بصديقكِ المقربة."

توقفتُ مكاني، فتابع الصوت:

"أتظنين حقاً أنها تحبك؟ لقد كانت تغار منك وتخفي ذلك وراء ابتسامتها. كانت تأتي إليك فقط عندما يتقلها الهم، ترمي كل أوجاعها في قلبك وتذهب هي خفيفةً ومرتاحة، وتتركك أنتِ مثقلةً بهمومٍ لا تخصك. هل سألتكِ يوماً: كيف حالكِ أنتِ؟"

شعرتُ بغصةٍ في حلقي، وهمستُ: *"... لا... هذا غير

صحيح."

فضحك الصوت بسخرية:

"حسنًا، فلنتحدث عن الشخص الذي أحببته. أتذكرين تلك الليلة التي كتبتِ له فيها أنكِ متعبة وتكادين تبكين؟ لقد رأى رسالتك... قرأها كاملة... ثم تجاهلها، وأكمل حديثه ببرود كأن دموعك لا تهمه. لم يكن يبحث عن قلبك، بل كان يأخذ منك الاهتمام والأمان، وحين شبع... رحل، وتركتك واقفة في الفراغ تسألين نفسك: ما الخطأ الذي ارتكبته ليرحل؟"

بدأت خطواتي تصبح ثقيلة جدًا، كأن الأرض تسحبني للأسفل. قلتُ بصوتٍ يرتجف: "على الأقل... ذكرياتي القديمة كانت جميلة."

سمعتُ ضحكةً كلها وجع:

"جميلة؟ انظري إليها بنفسك."

فانفتحت أمامي صفحات حياتي السابقة كأنها كتابٌ مفتوح. لكنني لم أجد فيها الفرح الذي تذكرته؛ وجدتُ وداعاتٍ لم أكن أريدها، وخذلانًا وراء خذلان، وطعناتٍ جاءت من القريب قبل البعيد. وكل صفحة كنتُ أظنها تحمل ذكرى سعيدة، كانت تنتهي بدمعة خبائها ولم أشف منها يومًا.

قال الصوت للمرة الأخيرة:

"أنا لا أصنع الندم يا عزيزتي... أنا فقط أرفع الأقنعة عن وجوههم، تلك الأقنعة التي كنت ترفضين رؤيتها. أنا أجعلك ترين حياتك كما هي في الحقيقة، بعد أن عشتها في الوهم."

عندها فقط... فهمت.

هذا المكان لم يكن سجنًا، كان محكمة. وأنا كنتُ فيها المتهم، والشاهدة، والضحية في نفس الوقت.

أدركتُ أن الطيبة حين تُمنح في المكان الخطأ لا تمنحنا دثارًا، بل تتحول إلى قيد. وأن الحكم كان مكتوبًا على الباب منذ اللحظة الأولى: "هنا... يبدأ الندم."

خرجتُ من باب الندم أخيرًا... لكنني لم أعد كما كنت.

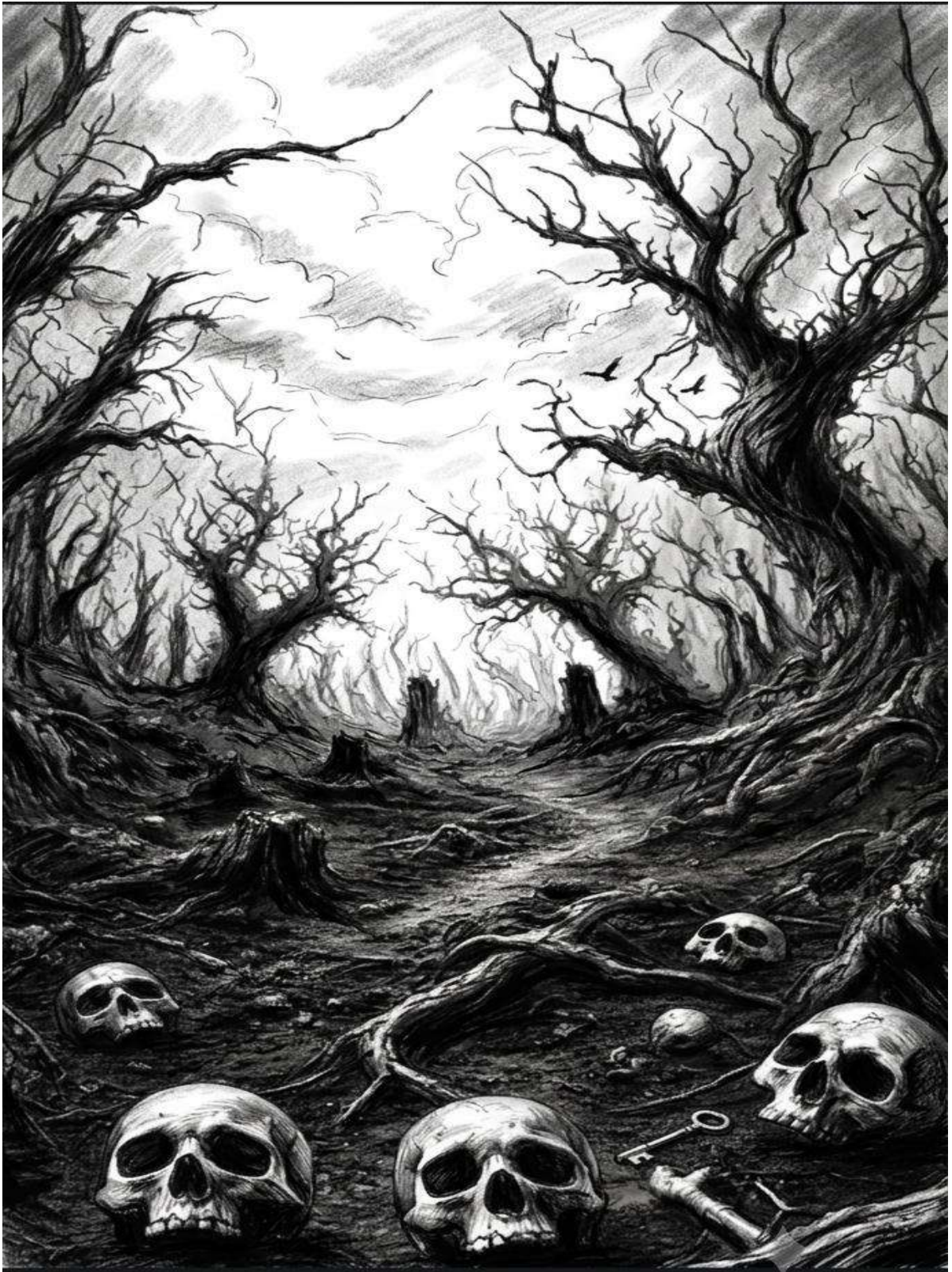
عدتُ بقلبٍ مثقلٍ بالحدَر، وروحٍ أنهكتها الأسئلة. والموجع ليس الخذلان بحد ذاته، بل حنيني الجارف لتلك الفتاة القديمة التي ماتت خلف ذلك الباب؛ تلك التي كانت تؤمن أن العالم بأسره يشبه نقاء قلبها، وأنها استثناء لا يمسه الوجع.

والآن، كلما صادفتُ بابًا في هذه الحياة، لا أنظر لبريق
مقبضه، بل أسأل رُوحِي بصوتٍ خافت: "كم وجعًا
وراءك هذه المرة؟"

الكاتبة ميرال

الفصل الثاني

باب الرعب



صوت الحلم

في مساءٍ شتويٍّ بارد، كانت ليديا تسير عائدةً إلى منزلها بعد يومٍ طويل. لم تكن تحمل سوى حقيبتها وسماعاتها، بينما يلف الضباب المكان.

وفجأة...

وجدت نفسها في شارعٍ لا تتذكر أنها سلكته من قبل.

توقفت.

نظرت خلفها، فلم تجد الطريق الذي جاءت منه، وكان المدينة ابتلعت.

وقبل أن تستوعب ما يحدث، وقع بصرها على مبنىٍ حجريٍّ قديم يقف وحيداً في نهاية الطريق.

كانت جدرانها متشققة، ونوافذه السوداء تشبه عيوناً تحقّق بها في صمت. أما بابه الخشبي الضخم، فكان موارباً، وكأنه ينتظر شخصاً منذ سنوات.

لم تعرف لماذا اقتربت.

كانت تشعر أن هناك شيئاً يدفعها إلى الأمام... قوة خفية لا تستطيع مقاومتها.

وضعت يدها على الباب.

كان باردًا بصورةٍ غير طبيعية.

وما إن دفعته حتى انفتح ببطء، مُصدرًا صريرًا طويلاً اخترق السكون.

دخلت.

توقعت أن تجد غبارًا وأثاثًا محطمًا،

لكن المكان كان نظيفًا بصورةٍ مرعبة.

أمامها امتد ممرٌ طويل، مضاءٌ بمصابيح صفراء خافتة، يقود إلى غرفةٍ دائرية في آخره.

تقدمت بخطواتٍ مترددة.

وكان كلما اقتربت، ازداد إحساسها بأن أحدًا يراقبها.

دخلت الغرفة...

فتجمدت في مكانها.

كانت عشرة أبوابٍ مصطفةً على شكل دائرةٍ كاملة، متطابقةً تمامًا، لا يميز أحدها عن الآخر سوى أرقامٍ سوداء محفورةٍ عليها، من 1 إلى 10.

وفي منتصف الغرفة، ساعةٌ رمليةٌ عملاقة.

لكن الرمال بداخلها كانت سوداء.

وبجوارها ورقةٌ صفراء قديمة.

التقطتها بيدٍ مرتجفة.

لم يكن مكتوبًا عليها سوى جملةٍ واحدة:

"اختر بابًا... لكن تذكر، الباب هو من يختارك في الحقيقة."

ابتسمت ليديا بسخرية، وهي تتمتم:

"مجرد مزحة سخيفة..."

أغضت عينيها.

مدت يدها عشوائيًا.

وعندما فتحتهما...

كانت أصابعها تلامس مقبض الباب رقم 2.

في اللحظة التي لامست فيها المقبض...

انطفأت جميع الأنوار دفعةً واحدة.

وساد صمتٌ مطبق.

ثم...

شعرت بأنفاسٍ باردة تلامس أذنها.

وأعقبها صوتٌ هامس، عميق، وكأنه صادرٌ من شخصٍ يقف خلفها

مباشرة:

"أهلاً بك... داخل الحلم الأول."

فتحت ليديا عينيها فجأة.

كانت في سريرها.

أنفاسها متسارعة، وقلبها يكاد يقفز من صدرها.

وضعت يدها على وجهها وهمست:

"كان مجرد حلم."

نهضت من سريرها، فتحت النافذة، واستنشقت هواء الصباح البارد.

استعدت للعمل، وودعت أمها، وخرجت من المنزل بتثاقل.

في الطريق، أوقفتها بائعة الزهور قائلةً بابتسامةٍ مبالغٍ فيها:

"باقتان... اثنتان فقط اليوم."

ابتسمت ليديا، وقالت لها:

"سأخذ واحدة."

ردت البائعة:

"لا يمكن، إنهما باقتان معًا."

ابتسمت ليديا، واعتذرت عن المغادرة، ولم تهتم.

شعرت بجوعٍ شديد، فرأت كافتيريا قريبةً منها، فدخلت.

استقبلها البائع.

"أريد قهوةً سوداء بلا سكر."

قال لها البائع بابتسامة:

"انتظري فقط دقيقتين."

بادلته الابتسامة نفسها.

وعند انتظارها للقهوة، لمحت أن لديه زبائن أكثر من الكافتيريا الأخرى المقابلة.

وعند أخذ قهوتها، صعدت إلى الحافلة.

عندئذٍ قال لها السائق:

"المقعد رقم 2 فارغ، اجلسي هناك، رجاءً."

نظرت إليه مستغربة، فبادلها ابتسامةً مبالغاً فيها.

لم تهتم لذلك، وجلست في مقعدها.

وفتحت هاتفها تتصفح الرسائل.

وجدت رسالتين فقط من صديقتها.

في العادة، تجد العديد من الرسائل.

لكن اليوم، ليس من حظها.

تأففت، وأغلقت.

لم ترَ محتوى الرسالتين.

وعند وصولها إلى العمل، استقبلتها صديقتها بابتسامة، وقالت لها،

وهي تطبطب على ظهرها:

"لقد تأخرتِ، ماذا كنتِ تفعلين؟"

"لقد اشتريت قهوة، شعرت بجوع."

ردت صديقتها:

"وهل القهوة تسد الجوع؟"

ردت ليديا، وهي تعبر بيديها:

"لا أعرف."

وعند تقدمهما إلى المكتب، قالت صديقتها فجأة:

"لقد حلمت بك الليلة مرتين."

وضحكت.

هزت ليديا كتفيها، وقالت:

"موقف مضحك، صحيح."

وعادت إلى عملها في مكتبها.

حينها لمحت فوق المكتب ورقتين لا أكثر.

استغربت، لأنه على الأقل سيكون هناك 40 ورقة.

جلست في مكتبها، وبدأت تتذكر رقم 2 في كل مكان.

على شاشة الهاتف.

وعلى الفواتير.

وعلى أرقام السيارات.

لكنه لم يكن كافيًا لجعلها تقلق.

كانت فقط تظنه وهمًا بسبب الإرهاق من العمل.

حل الليل، وسكنت الأصوات.

فقط هدوء.

أغلقت ليديا باب منزلها، وخلعت حذاءها، ثم اتجهت إلى الحمام،
وهي لا تزال تفكر في رقم 2.
فتحت صنوبر الماء.
رفعت فرشاة الأسنان، وبدأت تنظف أسنانها، وهي تحقق في المرأة
بشروء.
وفي لمح البصر، مر شيء خلفها.
لم يكن ظلاً، ولم يكن إنساناً.
كان مجرد كتلة سوداء اندفعت بسرعة خاطفة، كأنها عبرت خلفها
في أقل من طرفة عين.
شهقت، والتفتت بسرعة.
لم يكن هناك أحد.
ظل الحمام هادئاً.
سمعت فقط صوت قطرات الماء وهي تسقط في المغسلة، وصوت
أخيها وهو يناديها.
تنفست بعمق.
"لا بد أنني أتخيل."
قالت بصوت مرتفع:
"سوف آتي، انتظر."
عادت لتتأمل إلى المرأة.

ولم تسمع أي صوتٍ آخر.
لكن شيئًا ما لم يكن صحيحًا.
الحمام هو نفسه.
الباب نفسه.
الجدران نفسها.
ومع ذلك، بدا المكان مختلفًا بطريقةٍ لا تستطيع تفسيرها.
كأن المنزل نسخةٌ من منزلها، لكن أحدًا صنعها من ذاكرةٍ مشوشة،
كالضباب.
كانت ألوان الجدران أغمق.
والإضاءة أضعف.
خرجت من الحمام ببطء.
نظرت إلى الممر.
كل شيءٍ في مكانه الطبيعي.
لكن شعورًا غريبًا تسلل إلى قلبها.
تقدمت خطوة، ثم خطوةً أخرى.
وفجأة...
اندفع شيءٌ من قلب الظلام بسرعةٍ مرعبة.
وجةٌ أبيض شاحب، بلا عيينين، وفمٌ مفتوح على اتساعه، خرج من
العتمة صارخًا في وجهها، حتى كاد يلامس أنفها.

صرخت ليديا بكل ما تملك من قوة.
فتحت عينيها بعنف.
كانت مستلقيةً على سريرها، وتتنفس بصعوبة.
العرق يغطي جبهتها.
وضعت يدها على صدرها، وهي تهمس:
"الحمد لله... كان حلمًا."
ثم نظرت إلى ساعة هاتفها، لتجد:

02:22

تنهدت، وهي تمسح العرق عن جبينها.
"هذا الكابوس بدأ يؤثر علي..."
نهضت من سريرها، واتجهت نحو المطبخ لتشرب كأسًا من الماء.
كان المنزل ساكنًا بشكلٍ غريب.
لا صوت للثلاجة.
لا صوت لساعة الحائط.
حتى الريح التي كانت تضرب النوافذ اختفت.
شربت الماء دفعةً واحدة.
وفجأة، سمعت صوتًا خلفها:
"استيقظت أخيرًا."
شهقت، واستدارت بسرعة.

كانت أمها تقف عند مدخل المطبخ.
لكنها كانت تبتسم ابتسامةً عريضةً أكثر من المعتاد.
قالت الأم بهدوء، وهي تحقق في ابنتها دون أن ترمش:
"هل كان هذا الحلم أيضاً؟"
"نعم، لقد أزعجني، وأظنه بد..."
تجمدت ليديا في مكانها، ونظرت إلى أمها بريبة.
"كيف عرفت؟"
لكنها كانت تبتسم ابتسامةً عريضةً أكثر من المعتاد.
لم تُجب الأم مباشرة، بل تقدمت خطوتين ببطء.
كانت ابتسامتها تتسع أكثر مع كل خطوة، حتى بدت غير طبيعية.
ثم أدارت رأسها قليلاً، وقالت بصوتٍ هادئٍ أثار القشعريرة:
"لا تخافي، في البداية يختلط الأمر على الجميع."
توقفت لثانية.
ثم أضافت، وهي تضحك ضحكةً خافتة تحولت تدريجياً إلى قهقهة عالية:
"ستعتادين على الاستيقاظ مرةً بعد مرة."
شعرت ليديا بأن الدم تجمد في عروقها.
"هذه ليست أُمي..."

ما إن خطرت الفكرة في رأسها، حتى انفتح فم الأم أكثر مما ينبغي،
واستمرت ضحكتها بطريقةٍ يستحيل أن يفعلها إنسانٌ طبيعي.

شهقت ليديا شهقةً مكتومة.

وفتحت عينيها بعنف.

كانت مستلقيةً على سريرها.

تتنفس بصعوبة، والعرق يغطي وجهها.

وضعت يدها على صدرها، وهي تلهث بتعب.

"كان حلمًا آخر... لكن..."

سكنت لمدة دقيقة، وتتأمل دخول أشعة الشمس على وجهها.

أحست أنها عادت إلى الحياة مرةً أخرى بعد عدة أيام.

"أخيرًا... انتهى كل شيء."

نهضت ليديا من سريرها ببطء، وفتحت النافذة على مصراعيها،

فدخلت نسمات الصباح الباردة تحمل معها رائحة المطر.

أغمضت عينيها للحظة، ثم ابتسمت ابتسامةً خفيفة.

ارتدت ملابسها، ونزلت إلى الطابق السفلي.

كانت رائحة القهوة تملأ المنزل، وسمعت والدها يقرأ الجريدة،

بينما كانت والدتها تجهز الفطور كعادتها.

كل شيء كان طبيعيًا.

ابتسمت والدتها عندما رأتها، وقالت:

"صباح الخير يا نائمة."

ابتسمت ليديا للمرة الأولى منذ أيام، وجلست على الطاولة.

وبينما كانت تتناول قطعةً من الخبز، سألتها والدها:

"هل نمتَ جيدًا؟"

أجابت، وهي تضحك بخفة:

"بعد تلك الكوابيس، نعم."

نظر والدها إليها باستغراب، وقال:

"أي كوابيس؟"

توقفت يدها في الهواء، وقالت:

"لقد أخبرتكم أمس."

نظرت إلى أمها، ثم إلى والدها.

فتبادلا النظرات، قبل أن تقول أمها بابتسامةٍ هادئة:

"ليديا، أنتِ لم تخبرينا بأي شيء."

شعرت بانقباضٍ خفيف في صدرها، لكنها سرعان ما هزت رأسها،

وقالت في نفسها:

"ربما كنت متعبة أكثر مما ينبغي."

أنهت فطورها، وخرجت من المنزل.

وبينما كانت تسير في الشارع المزدحم، مرت بجانب واجهة متجرٍ

زجاجية، فوق بصرها على انعكاسها للحظة.

لكنها لم تنتبه إلى أن انعكاسها توقف عن السير، بينما واصلت هي طريقها.

واصلت السير، وهي تحاول إقناع نفسها أن ما رآته مجرد وهم. لكن كلما مرت بجانب نافذة أو سيارةٍ لامعة، تجنبت النظر إلى انعكاسها.

حتى وصلت إلى عملها.

جلست على مكتبها، وأخذت ترتب الأوراق أمامها.

وما إن رفعت رأسها، حتى وجدت زميلتها تحقق فيها بصمت.

قالت زميلتها بعد لحظات:

"ليديا... هل نمتَ جيدًا الليلة؟"

ابتسمت ابتسامةً متعبة، وقالت:

"نوعًا ما."

أجابت زميلتها، وهي لا تزال تحقق في عينيها:

"غريب... تبدين وكأنك لم تستيقظي بعد."

ارتبكت ليديا، وضحكت بخفة محاولةً إنهاء الحديث.

لكن كلمات زميلتها بقيت تتردد في رأسها طوال اليوم.

بدأت تشك أن ما قالته أمها في الحلم لم يكن مجرد كابوس.

"تبدين وكأنك لم تستيقظي بعد..."

"تبدين وكأنك لم تستيقظي بعد..."

"تبددين وكأنك لم تستيقظي بعد..."

"تبددين وكأنك لم تستيقظي بعد..."

تكررت كلمات زميلتها بثقلٍ في رأسها، حتى أحست أن رأسها سينفجر.

وأخيرًا انتهى دوام العمل.

لم تعد تعرف إن كان السبب قلة النوم، أم تلك الأحلام التي لا تريد أن تتركها.

أخرجت هاتفها لتتصل بوالدتها.

رن مرة.

مرتين.

ثلاث مرات.

ثم جاءها صوت والدتها:

"ليديا."

تنهدت براحة.

"أمي، أريد فقط أن أسمع صوتك."

ساد صمتٌ لثوانٍ.

ثم قالت والدتها بهدوء:

"أي أم تقصدين؟"

استغربت ليديا.

أبعدت الهاتف عن أذنها، ونظرت إلى الشاشة.
كان اسم والدتها ما يزال ظاهرًا.
أعادت الهاتف إلى أذنها.
لكن الخط...
كان قد انقطع.
ابتلعت ريقها، وحاولت الاتصال مرةً أخرى.
هذه المرة جاءها صوتٌ آلي:
"الرقم الذي تحاول الاتصال به غير موجود."
ارتجفت أصابعها.
"مستحيل..."
أسرعت إلى منزلها.
فتحت الباب بقوة، وهي تلهث.
"أمي! أبي!"
ثم صمتت.
حتى جاءها صوت أمها وأبيها معًا:
"نعم؟"
تنفست الصعداء.
وتقدمت إلى غرفة الجلوس ببطء.
لكن المنزل كان هادئًا بصورةٍ مرعبة.

توقفت.

كل شيء كان في مكانه.

إلا الصور المعلقة على الجدار.

اقتربت منها.

كانت صور العائلة كلها موجودة.

لكنها لم تجد نفسها في أي صورة.

كان الأب.

والأم.

وأشخاص آخرون لا تعرفهم.

أما هي، فكأنها لم تعش في هذا المنزل يوماً.

تراجعت خطوة، وهي تشعر بأن الأرض تميد تحت قدميها.

همست بصوتٍ مرتعش:

"أنا... من أنا؟"

وفي تلك اللحظة، سمعت صوتاً يأتي من الطابق العلوي.

صوت خطواتٍ بطيئة.

خطوة...

ثم أخرى...

ثم أخرى...

رفعت ليديا رأسها ببطء نحو أعلى الدرج.

كان الظلام كثيفاً، حتى إنها لم تستطع رؤية شيء.
وكان شخصاً ينزل الدرج ببطءٍ شديد.
كانت تسمع الخطوات تقترب، حتى توقفت عند آخر درجة.
ساد الصمت.
ثم خرج صوتٌ هادئٌ مبحوح، لم تفهمه جيداً.
تراجعت خطوةً إلى الخلف، وهي تهز رأسها.
"من هناك؟"
لم يجيبها أحد.
ساد الصمت.
ثم...
سمعت صوت خطواتٍ تنزل الدرج ببطء.
لكن الغريب...
أنها لم ترَ أحداً.
كانت تسمع الخطوات فقط، وكان شخصاً غير مرئي ينزل نحوها.
بدأ قلبها يخفق بعنف.
التفتت نحو الباب الرئيسي لتفر.
لكن...
كان قد اختفى.
لم يعد هناك سوى جدارٍ أبيض.

اتسعت عيناها.
استدارت مرةً أخرى نحو الدرج.
توقفت الخطوات.
ساد صمتٌ مرعب.
وفجأة...
ظهر وجهٌ شاحب بين الظلام الدامس.
لا عيين.
لا أنف.
فقط ابتسامةٌ طويلة تمتد من أذنٍ إلى أخرى.
صرخت ليديا بأعلى صوتها.
لتستيقظ من حلمٍ أبشع من سابقه.
نظرت إلى نفسها مرعوبة.
حتى نزلت دموعٌ باردة على خديها.
تجنبت النظر إلى المرأة.
لم تفكر كثيرًا.
فقط ارتدت ملابسها، وخرجت مسرعة، كأن شيئًا يلاحقها.
لم تهتم.
كانت تمشي، وهي منكمشة.
لم ترَ وجوه الآخرين.

حتى إنها تجنبت ركوب الحافلة.

أكملت ليديا طريقها، وهي تحاول إقناع نفسها أن كل ما رآته مجرد أثر لتلك الكوابيس.

وصلت إلى مكان عملها.

ألقت حقيبتها على المكتب.

ثم جلست تحاول التركيز.

لكن عقلها كان في مكانٍ آخر.

وبينما كانت تقلب الأوراق، اقتربت منها زميلتها، وقالت بابتسامة غريبة:

"ليديا... هل نمتَ جيدًا؟"

أجابت، دون أن ترفع رأسها:

"أفضل من الأمس بقليل، ليس كثيرًا."

ساد الصمت.

ثم مالت زميلتها نحوها، وهمست:

"إذن... لماذا ما زلتِ هنا؟"

رفعت ليديا رأسها باستغراب.

"ماذا تقصدين؟"

ابتسمت زميلتها ابتسامةً واسعة، وقالت:

"لو استيقظتِ حقًا، لما رأيتني."

تجمدت ليديا، ثم رمشت بعينيها مرةً واحدة.
اختفت زميلتها.
نظرت حولها بسرعة.
كان المكتب خاليًا.
لا أحد.
ولا صوت.
ولا حتى أجهزة الحاسوب التي كانت تعمل قبل لحظات.
تراجعت إلى الخلف، وهي تلهث.
وفجأة، رن هاتفها.
ظهر على الشاشة:
"أمي."
أجابت بسرعة:
"أمي... أريد أن أعود إلى المنزل."
لكن الصوت الذي خرج من الهاتف لم يكن صوت أمها.
بل كان ذلك الهمس نفسه:
"لا تبحثي عن المخرج... ابحثي عن الباب."
ثم انقطع الاتصال.
شعرت ليديا بأن الأرض تهتز تحت قدميها.
أغلقت عينيها للحظة.

و حين فتحتهما، لم تعد في مقر عملها.
كانت تقف وسط الممر الطويل نفسه.
المصابيح الصفراء.
الجدران الحجرية.
والصمت الثقيل.
وفي نهاية الممر...
كانت الغرفة الدائرية.
لكن هذه المرة...
لم يبقَ فيها سوى تسعة أبواب.
أما مكان الباب السابع، فكان فارغًا.
وعلى الأرض، كأن شيئًا ثقیلاً قد سحب نفسه خارج الغرفة، تاركًا
خلفه آثارًا سوداء تمتد نحو الممر.
شعرت ليديا بأن أحدًا يقف خلفها.
ولم تجرؤ على الالتفات.
ثم سمعت صوت خطواتٍ بطيئة تقترب.
خطوة...
ثم أخرى...
ثم أخرى...
حبست ليديا أنفاسها.

كانت الخطوات تقترب ببطء.
حتى توقفت خلفها مباشرة.
لم تستدر.
كانت تعلم أن أي حركة قد تكون الأخيرة.
ساد صمتٌ ثقيل.
ثم جاءها صوتٌ هادئٌ من خلفها:
"لماذا تهربين؟"
ارتجفت أطرافها.
كان الصوت يشبه صوتها تمامًا.
أغمضت عينيها، وهمست:
"من أنت؟"
جاءها الرد بعد لحظات:
"أنا هي أنتِ."
اتسعت عيناها.
استدارت بسرعة.
لكنها لم تجد أحدًا.
وفي اللحظة نفسها، سمعت صوت بابٍ يغلق بعنف.
التفتت نحو الغرفة.
كانت الأبواب التسعة قد أغلقت كلها.

ولم يبقَ مفتوحًا سوى بابٍ واحد.
لم يكن يحمل أي رقم.
كان أسود بالكامل.
ومن داخله خرج ذلك الهمس نفسه:
"ادخلي."
تراجعت ليديا خطوة.
"لن أفعل."
ساد الصمت.
ثم بدأت الجدران تهتز.
وتشققَت الأرض تحت قدميها.
بدأ الممر ينهار.
وتساقطت الحجارة من السقف.
لم يعد أمامها سوى خيارٍ واحد.
ركضت بكل ما تملك من قوة، وقفزت داخل الباب الأسود.
ارتطمت بالأرض بقوة.
فتحت عينيها، وهي تلهث.
كانت في غرفتها.
الشمس تملأ المكان.
وصوت العصافير يأتي من النافذة.

نظرت حولها.

كل شيء طبيعي.

ضحكت لأول مرة منذ أيام.

"انتهى... لقد انتهى أخيرًا."

رن هاتفها.

كانت رسالة قصيرة من رقم مجهول.

فتحتها.

لم يكن فيها سوى سطر واحد:

"أحسننت... لقد وصلت إلى الحلم الثاني بنجاح."

تجمدت الابتسامة على وجهها.

رفعت رأسها ببطء.

لتكتشف أن باب غرفتها لم يعد باب غرفتها.

بل أصبح...

الباب الخشبي القديم نفسه الذي دخلته في بداية القصة.

وسمعه يُفتح ببطء، دون أن يلمسه أحد.

حتى استيقظت من حلم آخر.

لكن هذه المرة، لم تستطع النهوض.

بل بقيت في مكانها.

فقط العرق، وأسئلة في رأسها.

في ماذا أقحمت نفسها؟
لم تتمالك نفسها.
وبقيت تبكي في مكانها بصمت.
حتى سمعت أصواتًا امتزجت ببكاءٍ قوي.
كل شيءٍ اختلط في عقلها.
حتى أمسكت رأسها بآلم.
ثم شهقت بقوة.
فتحت عينيها.
كان الضوء يملأ الغرفة.
وشعرت بيدين تضمانها بقوة.
رفعت رأسها، فوجدت أمها تحتضنها، بينما كان والدها يقف خلفها،
والدموع تملأ عينيها.
قالت أمها، وهي تبكي:
"الحمد لله... لقد عدت إلينا."
لم تستطع ليديا تمالك نفسها.
فارتمت بين ذراعي والديها، وهي تبكي بحرقة.
وكان كل الخوف الذي عاشته خرج مع دموعها.
ولأول مرة منذ بدأت تلك الكوابيس، شعرت بالأمان.
وكانها عادت أخيرًا إلى الحياة.

ثم نامت بين ذراعي أمها.
مرت الأيام.
وعادت ليديا إلى حياتها، وكأن شيئاً لم يحدث.
لم تعد ترى الكوابيس.
ولم تعد تسمع تلك الهمسات.
وفي أحد الصباحات، كانت تساعد أمها في إعداد الفطور.
وكانتا تتحدثان وتضحكان كأبي يومٍ عادي.
قالت الأم، وهي تضع الأطباق على الطاولة:
"أظن أن الوقت حان لتنسي كل ما حدث."
ابتسمت ليديا، وقالت:
"أحاول ذلك."
سكنت الأم فجأة.
وتوقفت يدها في الهواء.
واختفت ابتسامتها.
وحدقت في الفراغ دون أن ترمش.
تجمدت ليديا، وهمست:
"أمي؟"
لكن أمها لم تجب.
وبعد ثوانٍ، أدارت رأسها ببطءٍ شديد نحو ابنتها.

وارتسمت على وجهها ابتسامة غريبة.
ثم قالت بصوتٍ لم يكن يشبه صوتها:
"لماذا ما زلتِ هنا؟"
ارتبكت ليديا، وقالت:
"ماذا؟"
ساد صمتٌ ثقيل.
وفجأة، توقفت ليديا هي الأخرى عن الحركة.
وبدأت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة.
وارتسمت على وجه أمها ابتسامة عريضة.
وقالت بصوتٍ هادئ:
"لأنكِ لم تستيقظي بعد."
وفي اللحظة نفسها، انطفأت الأنوار.
وسمعت الهمسة نفسها التي بدأت بها القصة:
"أهلاً بك... داخل الحلم الثاني."

الكاتبة حضري مروي

الباب الذي فتح لن يغلق

كان هناك مسابقة بين الطلاب، وكل طالب يختار مصيره عبر بوابة محددة. وقفت مريم تنتقل بعينيها بفضول نحو الأبواب، ثم همست:

"لماذا هي مغلقة؟ هل اختاروا الباب بدلاً مني؟"

أخذت تبحث عن باب مفتوح، حتى وقعت عيناها على باب يخفي أسراراً وحقيقة مجهولة.

اقتربت خطوة، وبقدمها اليمنى دخلت. كانت الغرفة فارغة، لا يوجد فيها شيء. ابتسمت وهمست:

"هذا أفضل... سأنام قليلاً."

ثم استلقت على الأرض وغاصت في نوم عميق.

وبينما كانت مريم نائمة في حلم غريب، والعرق يسيل على جبينها،
رأت نفسها واقفة أمام جثة غارقة في دماءها أمام المنزل، بين
العشب الأخضر الذي اختلطت رائحته برائحة الدم والتراب.

فتحت عينيها بصدمة، ولم تعد تعرف ما الذي يجب عليها فعله. لم
يكن في عقلها سوى سؤال واحد: هل ما رآته حقيقة أم مجرد حلم
عابر؟

نهضت بسرعة، وتقدمت بخطوات متلاحقة نحو مقدمة المنزل.
وما إن بدأت عيناها تنتقلان بين العشب يمينًا ويسارًا، حتى تجمدت
أنفاسها للحظة.

لم تصدق أن الجثة كانت حقًا ملقاة هناك بين الأعشاب.

اقتربت منها وقلبها يخفق بعنف، خطوة بعد أخرى، بينما كان عقلها
يحاول استيعاب أن ما تراه حقيقي تمامًا.

ارتجف جسدها عندما سمعت خطوات شخص خلفها.

استدارت بسرعة، وما إن وقعت عيناها على القادم حتى اغرورقتا
بالدموع، وهمست بصوت مرتجف:

"أمي..."

عانقتها أمها بقوة، لكن عينيها سرعان ما وقعتا على الجثة الملقاة
هناك، فتجمدت في مكانها، وابتعدت عن ابنتها هامسةً بارتجاف:

"ما هذا...؟"

ارتبكت مريم، وانهمرت دموعها، ثم ركضت نحو غرفتها.

لم تقل شيئاً، ولم تحاول تبرير ما حدث.

بقيت الأم وحدها مع الجثة، تفكر في أن عليها حماية ابنتها
ومستقبلها، فهي لا تزال في الثامنة عشرة من عمرها.

وفي لحظة، ترسخت في عقلها فكرة واحدة: أن تدفن الجثة في
مكان لا يراه أحد.

وبينما كانت تجر الجثة نحو مكان بعيد قليلاً، كانت تلتقط أنفاسها
بصعوبة من شدة التعب، حتى وصلت وبدأت تحفر بكل ما تملك

من قوة، رغم الإرهاق، لأنها كانت تؤمن أن عليها دفن الجثة، التي تعود لشاب يدرس مع ابنتها.

وبينما كانت تلقيه داخل الحفرة، وتغطيه بالتراب، كان هناك شخص ما يصور تلك اللحظة باستمئاع.

انتهت من دفنه، ثم عادت إلى المنزل وكأن شيئاً لم يحدث.

وفي الليلة نفسها، جاء ذلك الشاب إلى مريم وقال:
"انظري إلى هذا الفيديو."

ناولها مقطعاً يُظهر أمها وهي تدفن الجثة.

ضاعت مريم، ولم تعد تعرف ماذا تفعل، ثم همست:
"أمي... من قتلته؟"

أجاب الشاب ببرود:
"ادفعي المال، وسأحذفه."

وما إن سمعت كلماته، حتى انهالت عليه بالضرب، ثم أخرجت سكينًا.

وبينما كانا يتصارعان، قال لها:
"أتريدين قتلي كما قتلت أمك؟"

واستمر الصراع للحظات، حتى ظهر شخص مجهول يرتدي قناعًا أسود، فأنقذها منه، وانهال عليه ضربًا، ثم أخذ الهاتف وغادر بسرعة. حاول الشاب الذي صور المقطع اللحاق به، لكنه لم يستطع، فرحل وهو يعتقد أنه يعرف هوية ذلك المقتنع.

مرت تلك الليلة، وأشرق الصباح كاشفًا آثار ما حدث بالأمس.

بدت الأم وكأنها تحاول أن تجعل كل شيء طبيعيًا، فبدأت بإعداد أشهى الأطباق، بينما كانت مريم قد اتخذت قرارًا بالبحث عن القاتل، لتعرف هل كانت أمها هي الفاعلة أم أن هناك شخصًا آخر وراء الجريمة.

اقتربت من أمها وسألتها:
"لماذا كل هذه المأكولات؟"

ابتسمت الأم وقالت:

"أريد أن أحتفل بعيد ميلادك."

وفور أن أنهت كلامها، رن جرس المنزل.

تقدمت الأم بخطوات هادئة، وفتحت الباب، فإذا بها صديقة مريم، سارة.

ابتسمت الأم، ودخلت سارة بسعادة واضحة.

وضعت الأم جميع الأطباق على المائدة، وأحضرت الكعكة أيضًا،
ثم بدأ الجميع يغني:
"عيد ميلاد سعيد يا مريم."

بعد أن أطفأت مريم الشموع، اقتربت منها سارة وقدمت لها هدية بسيطة، نظرًا لظروفها المعيشية.

ابتسمت مريم وشكرتها.

وفي تلك اللحظة، رأت أم مريم أنه يجب أن تصبح أكثر قربًا،
فأحضرت هدية أخرى وقدمتها لسارة.

قالت سارة بدهشة:

"يا خالتي، هذا الهاتف باهظ الثمن، لا أستطيع قبوله... أنا آسفة."

ابتسمت الأم وقالت:

"بل اقبليه، لكي تتمكني من التحدث مع ابنتي كلما احتجتما إلى ذلك
يا سارة."

خجلت سارة من كلامها، ثم قبلت الهدية.

بعد ذلك تناولوا الطعام، وتحدثوا في أمور عادية، وكأن شيئًا لم
يحدث.

مر الوقت ببطء شديد، حتى بدا وكأنه دهر كامل.

خرجت مريم من المنزل، وأرسلت رسالة إلى صديقتها:

"سارة، تخيلي أن هناك شخصًا قتل كلبًا ودفنه... كيف يمكنني أن أعرف من القاتل الحقيقي؟"

ردت سارة:

"أممم... سمعت أن هناك ساحرة محترفة في مثل هذه الأمور، لكن من الصعب الوصول إليها. وبمجرد أن تذهبي إليها، قد تحدث لك أمور سيئة كثيرة في الطريق."

كتبت مريم:

"لا بأس، أنا فقط سألتك. بالتأكيد لن أذهب... لكن أين تقيم هذه الساحرة؟"

بعد لحظات، أجابت سارة:

"إنها تسكن في الجبل. يمكنك ركوب سيارة أجرة إلى هناك. ستجدون الكثير من المنازل، لكن منزلها يتميز بباب خشبي أمام شجرة طويلة، وصخرة كبيرة أمام الباب مباشرة."

ضحكت مريم وكتبت:

"هههه، مجرد وصف المنزل كان مرعبًا... لا بأس، سأعود إلى المنزل لأرتاح. نلتقي غدًا."

أجابت سارة:

"أكيد، وداعًا."

لكن ما إن أغلقت المحادثة، حتى قررت مريم الذهاب.

استأجرت سيارة، واتجهت نحو ذلك المكان.

كان الطريق طويلاً بحق، وبعد ساعة توقفت السيارة.

أكملت مريم السير على قدميها، تبحث عن المنزل الموصوف.

وبعد عشر دقائق، وجدته تمامًا كما وصفته سارة: باب خشبي،
وشجرة طويلة، وصخرة كبيرة أمام الباب.

طرقت الباب طرقة واحدة، ثم لاحظت أنه مفتوح.

شعرت بالخوف، لكنها تشجعت ودخلت.

وما إن خطت خطوة إلى الداخل، حتى وقعت عيناها على امرأة
عجوز تقف أمام الشموع والبخور، ثم استدارت ببطء وقالت:
"أهلاً أهلاً يا مريم."

تجمدت مريم في مكانها، وقالت بصدمة:
"كيف عرفت اسمي؟"

ابتسمت العجوز وقالت:
"وكيف لي ألا أعرف زواري الجدد؟"

ثم صمتت لحظة، وأكملت:
"لقد أتيت لتعرفي من القاتل... لكن لذلك ثمن."

سألها مريم:
"وما هو يا خالة؟"

ضحكت العجوز ضحكة ساخرة وقالت:
"الجثة."

ارتبكت مريم، وقالت بقلق واضح:

"أتقصدين الجثة المدفونة؟"

أجابت الساحرة:

"نعم... أريدها."

ترددت مريم للحظة، ثم قالت:

"حسنًا... موافقة."

نظرت إليها الساحرة وقالت:

"القاتل ليس أمك، لكنها تعتقد أنك أنتِ القاتلة. أما القاتل الحقيقي، فهو ذلك الشاب ذو القناع الأسود."

شهقت مريم بصدمة، وكأنها بالكاد تستطيع التنفس.

ثم همست:

"لكن كيف وصلت الجثة إلى أمام منزلنا؟"

تغير صوت الساحرة فجأة، وأصبح عميقًا ومخيفًا، وكأنه صادر من قبر:

"لقد أجبتكِ يا مريم... والآن حان دورك. وإن لم تفعلي ما اتفقنا عليه، فسيكون الثمن أسوأ بكثير."

شعرت مريم بأن الباب الذي دخلت منه كان غامضًا بحق.

لقد نسيت أنها كانت في غرفة عادية، وأصبحت تعيش رعبًا حقيقيًا.

ومع مرور الوقت، جاءها كابوس مزعج.

رأت امرأةً مسنة ذات ملامح مخيفة وعينين سوداويين، تتقدم نحوها وهي تقول:

"أين الجثة؟ هل خالفتِ الوعد؟... هذا آخر تنبيه لك. إن لم تعطيني الجثة قبل العصر، فسيكون قد فات الأوان، ومصيرك الموت."

انتفضت مريم فزعًا من صوتها المخيف، ثم انقطعت هاتفها بسرعة، لتجد الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا.

همست:

"لقد نمت كثيرًا... لكن ماذا سأفعل الآن؟"

ومن جهة أخرى، بدأت الشرطة تحقيقاتها حول الجثة، وتركزت معظم الشكوك على الأم وابنتها، ولم تجد مريم أي حل، بل شعرت أن الوضع أصبح أسوأ.

ارتدت ملابسها على عجل، وتوجهت نحو القبر.

بدأت تحفر حتى أخرجت الجثة، ثم أعادت ردم الحفرة كما كانت.

وبعد ذلك شعرت بتعب شديد، فجلست قليلاً تستريح.

وللحظة، راودها شعور بأن أحداً قد يكون يراقبها ويصورها، كما حدث مع أمها.

نهضت بسرعة، وبدأت تجر الجثة نحو الطريق العام المؤدي إلى الغابة.

وعندما وصلت، أدركت أن عليها إيقاف سيارة، لكن وجود جثة معها جعل الأمر صعباً جداً.

همست لنفسها:

"لكن مع المال... كل الأمور تسير على ما يرام."

أشارت إلى أول سيارة مرت بجانبها، فتوقفت.

قال السائق:

"نعم، مرحبًا، تفضلي."

اقتربت منه مريم وقالت:

"لست وحدي... لكن لدي مال يكفيك لأسبوع كامل، ما رأيك؟"

نظر إليها باستغراب وقال:

"ماذا تقصدين؟"

أجابت:

"تم قتل أخي ودفنه، والشرطة لم تفعل شيئًا، وكل ما أريده هو أن أنتقم ممن قتله. أرجوك يا سيدي، هل يمكنك أن توصلني أنا وأخي الميت إلى مكان محدد؟"

تردد الرجل، لكنها أخرجت مبلغًا كبيرًا من المال.

اتسعت عيناه طمعًا، فوافق دون تردد.

حملا الجثة إلى مؤخرة السيارة، وانطلقا نحو منزل الساحرة.

مر الوقت ببطء شديد، حتى شعرت مريم أن الطريق أصبح أطول من أمس.

مرت ساعتان، فشعرت بالقلق وقالت:

"سيدي، هل أنت متأكد من الطريق؟ أظن أننا تجاوزنا المنزل."

أجابها:

"لا أبدًا... سنصل بعد عشر دقائق."

وبعد دقائق قليلة، توقفت السيارة فجأة أمام منزل الساحرة، دون أن تعرف مريم كيف حدث ذلك.

أنزلا الجثة، ووضعها أمام الباب، ثم غادر السائق.

بدأت مريم تجر الجثة إلى داخل المنزل، حيث كانت الساحرة لا تزال تستدير نحو الشموع.

قالت:

"مرحبًا يا خالة... لقد عدت، ومعى الجثة."

أجابتها الساحرة:

"أعلم ذلك... ضعها أمامي."

بدأت مريم تجرها مرة أخرى، حتى أصبحت الجثة أمام الساحرة.

فتحت العجوز عينيها، وأخذت تتحسس الجثة بيديها برفق، ثم

همست:

"جميل... لقد أنجزت المهمة."

ابتسمت مريم، ثم تذكرت طول الطريق، وقبل أن تسأل، قالت

الساحرة:

"هذا شيء طبيعي يا مريم. كل من يأتي إلى هنا للمرة الثانية أو الثالثة يتغير الطريق بالنسبة له، ويصبح أطول بكثير."

سألتها مريم باستغراب:
"لكن لماذا يا خالة؟"

ضحكت الساحرة بخفة وقالت:
"لأنك لا تعرفين شيئاً عن هذا العالم الخفي."

صمتت قليلاً، ثم تابعت:
"هيا، عودي إلى منزلك بسلام. أما الشرطة فسأتولى أمرها،
لتعيشي أنتِ وأمكِ بسلام. وأما القاتل... فقد كان يراقبك طوال
الوقت، حتى إنه موجود الآن في الخارج."

انصدمت مريم، وعجزت عن النطق.

فأكملت الساحرة:
"لا تخافي، سأجعله يضيع في مكان ما. وبالنسبة للأدلة التي كانت
تدينك أنتِ وأمكِ، فقد تم حذفها قبل دقائق."

تنفست مريم الصعداء، وقالت:
"شكرًا لك يا خالة... على كل شيء."

ثم غادرت عائدة إلى منزلها.

ولم تستغرق هذه المرة سوى نصف ساعة حتى وصلت، مما زاد
من حيرتها.

دخلت المنزل وهي تشعر بسعادة غامرة، ثم اقتربت من أمها التي
كانت تطبخ، وعانقتها بقوة.

وهكذا نجت من قصة مرعبة كانت بدايتها صعبة.

وفجأة...

وجدت نفسها واقفة بين الطلاب من جديد.

ثم دوى صوت المذيع في المكان:

"والفائزة معنا هي... مريم!"

بعد أن نجت من باب الرعب.

الكاتبة شيما مسعودي

الفصل الثالث

باب الحقيقة



ما بيني و بينه.... شيء مظلم

لم أكن أعرف كم مضى من الوقت، وأنا جالسة في
تلك الغرفة الحجرية.

كان الصمت فيها ثقیلاً بشكل غريب... لدرجة
أنني صرت أسمع أنفاسي وكأنها ليست لي.

الجدران باردة وخشنة، وكنت أتحاشى لمسها،
لكنني أمد يدي أحياناً... فقط لأتأكد أنني ما زلت
هنا.

أنني لم أختف... أو لم أبدأ بالاختفاء.

جلست في الزاوية، أضمت نفسي، وأحاول التفكير.

لكن الغريب... أن رأسي فارغ تقريباً.

لا أتذكر كيف جئت إلى هنا.

ولا لماذا أنا موجودة أصلاً.

كلما حاولت أن أتذكر، شعرت بألم خفيف في رأسي... كأن هناك شيئاً يمنعني.

ليس نسياناً عادياً... كأنه حجب متعمد.

رفعت رأسي ببطء، ونظرت حولي.

لم يكن هناك باب واضح... فقط جدران صامتة.

لكن...

كان هناك شيء مختلف.

خط خافت على الجدار.

وقفت بتردد، وقلبي بدأ ينبض بسرعة، رغم أنني
لا أفهم السبب.

تقدمت نحوه بخطوات بطيئة... وكأنني أعرف
أنني لن أحب ما سأراه.

مددت يدي ولمست الجدار...

وكان هناك نقش.

كلمات محفورة بوضوح:

"لا تثق بذاكرتك"

سحبت يدي بسرعة، وكأنني لمست شيئاً حياً.

نظرت إلى الكلمات مرة أخرى...

كانت حقيقية. واضحة. ومقصودة.

همست:

"من الذي كتب هذا...؟"

لم يجبني أحد.

لكن شعرت أن الجملة موجهة لي أنا فقط...
وكانها تعرفني أكثر مما أعرف نفسي.

جلست على الأرض، أحاول أن أفهم.

ذاكرتي؟

أنا أصلاً لا أتذكر شيئاً لأثق فيه.

ضحكت بخفة... ضحكة قصيرة، لكنها لم تكن
مريحة أبدًا.

لكن عندما رفعت رأسي مرة أخرى...

تجمدت.

الكلمات... تغيرت.

"لقد حاولت الهروب"

وقفت بسرعة، وبدأ خوفي يكبر داخلي بشكل
مفاجئ.

"لا... هذا غير ممكن..."

اقتربت مرة أخرى، ولمست الجدار.

نفس المكان... لكن الجملة ليست نفسها.

تراجعت خطوة، ويدي على صدري.

"أنا لم أحاول الهروب..."

"بل حاولت"

جاء الصوت فجأة.

استدرت بسرعة، لكن لم يكن هناك أحد.

"من هنا؟!"

عاد الصمت... وكأن شيئاً لم يحدث.

وضعت يدي على صدري، أحاول أن أهدأ.

"يمكن... أتخيل بس..."

"لا... أنتِ لا تتخيلين"

هذه المرة، الصوت كان أقرب... أقرب بكثير.

تجمدت.

"أين أنت...؟"

"قريبة منك أكثر مما تتوقعين"

بدأت أنظر حولي بسرعة، لكنني لم أرَ شيئاً.

ومع ذلك...

كنت متأكدة أن هناك من يراقبني.

وفجأة...

ظهر انعكاس خافت على الجدار.

لم يكن ضوءًا عاديًا...

بل كأنه مرآة، لكنها ليست مرآة حقيقية.

اقتربت ببطء... رغم أن جزءًا مني كان يرفض.

ورأيت نفسي.

لكن...

لم أكن كما أنا الآن.

كنت واقفة... ويدي ملطخة بالدم.

تراجعت بسرعة، ووضعت يدي على فمي.

"لا... هذا ليس أنا..."

لكن الصورة لم تختفِ.

بقيت هناك... تنتظر إليّ بثبات مزعج.

"انظري جيدًا"

جاء الصوت مرة أخرى.

اقتربت... خطوة... ثم أخرى.

لا أعرف لماذا لم أهرب... كأنني مجبرة.

في الانعكاس...

كان هناك شخص أمامي.

لم أستطع رؤية وجهه بوضوح...

لكن شعورًا ثقیلاً داخلي قال: أعرفه.

رأيت نفسي أصرخ...

وأدفعه.

ثم...

يسقط.

والدم...

كان أكثر مما توقعت.

تراجعت، وبدأت أتنفس بسرعة.

"لا... هذا كذب... هذا ليس أنا..."

"هذا أنت"

"اصمتي!" صرخت، وصوتي ارتد في الغرفة
بشكل مخيف.

وضعت يدي على رأسي، أحاول إيقاف الصور.

لكنها عادت... أوضح... أقرب... كأنها تحدث
الآن.

صوت صراخ.

دموع.

يدي... وهي ترتجف.

ثم ذلك الشعور...

الذنب.

جلست على الأرض، وانهمرت دموعي دون أن
أشعر.

"ماذا فعلت...؟"

لم يجبني الصوت.

لكن الجدار... أجاب.

ظهرت كلمات جديدة:

"هذه هي الحقيقة"

نظرت إليها، وأنا أشعر أن شيئاً داخلي ينكسر.

"لا... لا أريد هذه الحقيقة..."

لكنها لم تختفِ.

الانعكاس عاد مرة أخرى...

لكن هذه المرة كان أوضح.

ورأيت الوجه.

وتجمدت.

"مستحيل..."

اقتربت أكثر... ببطء شديد... وخوف.

وكانت الصدمة...

أنه...

أنا.

سقطت على الأرض، وأنا لا أستوعب.

"لا... هذا خطأ..."

لكن الصوت عاد، هادئًا جدًا:

"أنتِ لم تقتلي أحدًا فقط..."

توقف لحظة... ثم أكمل:

"أنتِ قتلتِ نفسك... من قبل"

توقفت أنفاسي.

شعرت بأن الغرفة تضيق... أو ربما أنا التي
تضيق.

"ماذا... تقصدين...؟"

لم يجبني أحد.

لكن الذكريات بدأت تعود... بشكل مختلف.

لم أكن أرى شخصًا آخر...

كنت أرى نفسي.

أنا من كنت أصرخ.

أنا من كنت أبكي.

وأنا من... سقط.

"أنا... متُّ؟"

همست بها.

لكن هذه المرة...

الجواب لم يكن صمتًا.

"ليس تمامًا"

تجمدت.

"كيف...؟"

"أنتِ لم تموتي... أنتِ انقسمتِ"

شعرت بأن الكلمات أثقل من أن تُفهم.

"جزء منك مات في تلك اللحظة..."

"والجزء الآخر... لم يتحمل"

"لم يتحمل ماذا...؟"

سكت الصوت لحظة... ثم قال:

"الحقيقة"

بدأت أتنفس بشكل غير منتظم.

"أي حقيقة...؟"

ولأول مرة...

شعرت أن الصوت... ليس بعيداً.

كان... داخلي.

"أنكِ لم تدفعيه فقط..."

"أنتِ أردتِ سقوطه"

"لا..." قلتها بسرعة، لكن صوتي كان ضعيفاً.

"وأنتِ لم تندمي فوراً..."

بدأت أرتجف.

"ندمت... فقط عندما رأيت النتيجة"

وضعت يدي على أذني.

"كفى..."

لكن الصوت لم يتوقف.

"لهذا خلقتني"

توقفت.

"ماذا...؟"

"أنا لستُ شخصًا آخر"

"أنا الجزء الذي أخذ الألم بدلًا منك"

شعرت بشيء ينهار داخلي.

"وأنت..."

"أنتِ الجزء الذي اختار أن ينسى"

بدأت الغرفة تتغير.

الجدران...

لم تعد صامتة.

امتلأت بكتابات...

كلمات...

جمل مكررة:

"أنا السبب"

"أنا دفعته"

"أنا أردت هذا"

"لا ... لا ..."

لكنني لم أستطع إنكارها.

اقتربت من الجدار... ولمسته ببطء.

وكانت المفاجأة...

أنني أنا من كتبها.

بخطي.

بنفس ارتجاف يدي.

تراجعت، ودموعي تنزل بصمت.

"إِذَا... أَنَا..."

"نعم"

همس الصوت.

"أنتِ لستِ الضحية"

صمت لحظة... ثم قال:

"أنتِ البداية"

جلست على الأرض، ولم أعد أقاوم.

كل شيء أصبح واضحًا بطريقة مؤلمة.

لم أكن سجيناً هذه الغرفة...

أنا من صنعتها.

ولم أكن أبحث عن مخرج...

كنت أهرب من شيء أعرفه جيدًا.

رفعت رأسي ببطء، ونظرت إلى الانعكاس.

لم يعد مخيفًا.

كان... صادقًا.

همست:

"وأنت... من تكونين الآن؟"

جاء الجواب بهدوء:

"أنا... الشيء الذي لم تستطيعي قتله"

سكت... ثم أضاف:

"وأنت..."

توقفت أنفاسي.

"أنتِ الشيء الذي اختار أن يعيش... بالكذب"

أغمضت عيني.

ولأول مرة...

لم أحاول الهروب.

الكاتبة حلايب خولة

الفصل الرابع

باب الوهم



خلف باب لا ينحني

كان الصمت في الغرفة الحجرية أثقل من أن يُحتمل،
جدران باردة، أرضية قاسية، وأنفاس متقطعة تختلط
بخوف لا اسم له.

كنت واقفة أراقب تلك الأبواب الخشبية ذات اللون الداكن
المصطفة جنب بعضها البعض، كأنها تمتلك هيبة.

بعد هنيهة، توهجت الأبواب كلها واحدًا تلو الآخر، ليظهر
اسمي على أحدها...

نعم، لقد كان باب الوهم.

لم أكن من أولئك الذين يحبذون العيش في الوهم، لكن
لبرهة شعرت بشيء داخلي يدفعني إليه.

تقدمت نحوه ويدي تترتجان، وما إن لامست مقبضه حتى
اختفى كل شيء.

وجدتني داخل حديقة جميلة، نور الشمس يحيطها من كل
زاوية، زهور لم أرَ مثلها، هواء نقي وهدوء غريب...

ثم رأيته.

نعم... لقد رأيته.

واقفاً أمامي كما كان دائماً، بنفس تلك الابتسامة التي كانت
تدغدغني، ونفس النظرة التي كنت أشتاقها في كل ليلة...

"تأخرت."

قالها ببساطة، وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن الموت لم يأخذه
مني يوماً.

اقتربت منه ببطء، وقلبي يكاد يخرج من مكانه، والعبرات
تستقر في عيني.

مددت يدي ولمست يده... كانت دافئة، ولم تكن باردة
كآخر مرة لمستها...

"أنت هنا..."

"كنت دائماً هنا."

تجمدت ملامحي وأنا أهدق فيه. لم يكن مجرد وجه
أعرفه، بل كان ذاكرة كاملة تمشي نحوي.

وفجأة، دون استئذان، تدفقت الذكريات...

ذلك اليوم...

حين كنا نسير تحت المطر، نضحك بلا سبب.

كنت أتذمر من البلى، وهو يصرّ على أن اللحظات العفوية
هي الأجل.

"ستشتاقين لهذا يوماً."

قالها وهو يبتسم. وقتها ضحكت، ولم أصدق، واليوم...

كنت أعيش تلك الجملة بكل تفاصيلها.

مرت اللحظات كحلم جميل، جلسنا، تحدثنا، ضحكنا، كأن الزمن عاد إلى تلك الأيام.

لكن...

شيئاً ما لم يكن في مكانه الصحيح.

لاحظت أن الطيور تعيد نفس التغريدة،

وأن الرياح تهب بنفس الإيقاع،

وكلماته... تتكرر بنفس النبرة، ونفس التوقيت.

"هل أنت بخير؟"

سألني.

نظرت إليه، ولم أجب.

"هل أنت بخير؟"

كررها بنفس الصوت.

تجمدت.

"قلت هذا من قبل."

صمت، ثم قال:

"لا... هذه أول مرة."

بدأ الخوف يسلك طريقه إليّ.

نظرت حولي.

الأزهار كانت جميلة أكثر من اللازم.

السماء صافية أكثر مما ينبغي.

"ما هذا المكان؟"

لم يجب.

اقترب مني، ومد يده.

"لماذا تبحثين عن الإجابة وأنا أخيرًا سعيدة؟"

توقفت أنفاسي لبرهة.

"لأن هذا ليس حقيقياً."

ساد صمت ثقيل، ثم ابتسم، لكن لم تكن نفس الابتسامة.

"وماذا إن لم يكن حقيقياً؟"

قال بهدوء:

"هل السعادة تحتاج إلى أن تكون حقيقية؟"

نظرت إلى يده الممدودة نحوي.

كم مرة تمنيت أن أعود لتلك اللحظة؟

كم ليلة بكيت لأنني فقدته؟

خطوة واحدة فقط،

وكان بإمكانني أن أبقى هنا معه، دون ألم، دون فراق.

بدأ صوت داخلي يهمس:

"ابقي، هذه فرصتك."

لكن صوتاً آخر، أضعف، لكنه أصدق:

"هذا ليس هو."

تراجعت خطوة.

"أنت لست هو."

اهتزت ملامحه لثانية.

"أنا ما تريدينه أن أكونه."

قالها ببطء.

تجمدت.

"وهذا يكفي، أليس كذلك؟"

ارتجفت أنفاسي.

كلماته كانت مغرية...

خطيرة.

وكان هذا المكان لا يمنحك ما فقدت، بل ما تتمنى.

أغمضت عيني للحظة، وتنفست ببطء.

"لو كنت هو حقًا..."

همست.

"لما طلبت مني أن أبقى في وهم، بل كنت ستطلب مني
أن أواجه الحقيقة."

فتحت عيني، ونظرت إليه لأول مرة.

لم أره كما أردته، بل كما هو...

وهم.

بدأ كل شيء من حولي يتشقق.

الألوان تبهت.

والصوت يتلاشى.

مد يده بسرعة:

"توقفي! إذا أدركت الحقيقة، سينتهي كل شيء!"

سقطت دمعة من عيني.

"ربما هذا ما يجب أن يحدث."

تراجعت خطوة أخرى.

"ليس كل ما نتمناه نجاهة."

انهار كل شيء.

تلاشت ملامحه.

واختفى صوته...

"أحيانًا يكون... أجمل فخ."

فتحت عيني، وعاد البرد.

الغرفة الحجرية.

الجدران القاسية.

والصمت.

كنت ألّهت، ودموعي تنساب دون توقف.

نظرت إلى الباب خلفي.

كان مظلماً، كأنه لم يكن يوماً طريقاً إلى حلم.

وضعت يدي على صدري.

الألم لا يزال هناك...

لكنه حقيقي.

الكاتبة عراف كوثر

كان حلمي ذات يوم

منذ دخولي، لم يجذب انتباهي سوى ذلك الباب الخشبي البني في الزاوية. في تلك المساحة الحجرية الشاسعة، لم أعر الشرح القائم أمامنا أي اهتمام، فلم يكن لديّ ما أخسره، فقلت في نفسي، رغم غرابة كل شيء:

"إنها مجرد مسابقة."

ورغم أنني لم أعرف أحدًا ممن حولي، فإن ذلك لم يكن المشكلة، فالوحدة جزءٌ اخترته في حياتي، ولم أندم يومًا على ذلك الخيار.

وما إن أعطونا الضوء الأخضر للبداية، حتى لم يختَر أيُّ منا بابه، بل سُحبنا بغير إرادتنا، وشاء القدر أن أدخل ذلك الباب الذي جذب انتباهي.

عند خطوتي الأولى، شعرت أنني اختفيت من المكان، لكنني ما زلت حاضرة بطريقةٍ ما... لم يكن حولي سوى السواد يلاحقني من كل جانب، أطفو وحيدة، وكأنني نجمة في فضاءٍ شاسع.

"ميرا."

سرت قشعريرة في جسدي عند سماع ذلك الصوت الهادئ، فالتفتُ لأرى... رغم أنني قبل لحظة كنت في اللامكان، إلا أنني، بمجرد التفاتي، وجدت نفسي جالسة على كرسي، أحرق في سيدة لطيفة تحمل علبة مكياج.

حدقتُ فيها باستغراب، فأعادت مناداتي:

"ميرا... لقد كررتُ السؤال عدة مرات، ما اللون الذي تريدين أن أضعه لك؟"

همستُ بتردد:

"أين أنا؟ ومن أنت؟"

أعطتني السيدة نظرة خيبة، ثم تنهدت وقالت:

"كفي عن التهرب، واختاري لونا. لم يتبقّ سوى ربع ساعة على جلسة التصوير."

رغم أنني لم أطمئن، فإن شعورًا داخليًا حثني على مجاراتها، فقلت:

"سأختار الزهري... لكن بشكلٍ خفيف."

أومأت السيدة، ثم اعتنت بي بعنايةٍ جعلتني أتفاجأ من جمالي بعد انتهائها. نظرت إلى المرأة، ولم أكد أصدق ما أراه.

كان شعري منسدلاً في موجات سوداء بلا شائبة، وبشرتي صافية كصفاء السماء، أما مكياجِي فلم أستطع حتى وصف جماله. وذلك الفستان... كدت أدوب وأنا أراه على جسدي، فتمتعت:

"إن كان هذا حلمًا، فلا أريد أن أستيقظ."

قاطعني صوت امرأة صارمة تحمل حقيبةً وحاسوبًا محمولًا، بدت وكأنها مديرة أعمال.

"ميرا، حان موعد خروجك."

أومأت، ثم تبعتها بخطوات متناسقة حتى خرجت إلى الأضواء
الساطعة التي تملأ المكان.

لا يمكنني وصف سعادتي في تلك اللحظة وأنا أتقدم على السجادة
الحمراء، أبتسم وأجيب عن الأسئلة، وكأنني وُلدت لأكون هنا.

مرت الساعات كالدقائق، حتى انتهى كل ذلك أخيراً، وهناك أدركت
أن الإرهاق قد اخترق جسدي.

شفتُ طريقي متبعةً مديرة أعمال، التي علمتُ أن اسمها زاليا،
لكنها توقفت فجأة عندما رآته.

رجلٌ طويل القامة... ويا لتلك الوسامة.

نظمتُ شعري بلامبالاة، وقلبتُ عيني متجاهلةً إياه، حتى توقف
أمامي، بينما كانت الأضواء تتجه نحونا. أمسك يدي وسحبني برفق
وهو يقول:

"هيا، عزيزتي."

كدتُ أصفح نفسي لأتأكد أنني لستُ في حلم.

"لا أعلم أين أنا... لكن هذا ما تعذبتُ لأجله."

ركبنا السيارة تاركين الضوضاء خلفنا، وكل ما كان يشغل تفكيري هو:

"كيف سأحدث معه وكأنني أعرفه؟ فهو زوجي، لكنني لا أملك أدنى فكرة حتى عن اسمه."

أخرجتُ هاتفي خلصة، وبحثتُ عن اسمي.

"واو!"

صرختُ دون وعي.

نظر زوجي نحوي باستغراب.

"طاقتكِ عالية اليوم، ميرا."

ابتسمتُ له بإحراج، وعدتُ أقرأ عن نفسي وكأنني أتعرف إلى شخصٍ آخر.

"ميرا... ممثلة ناجحة شاركت في عدة أفلام، متزوجة من الممثل الوسيم جايسن، ولديها طفلة."

كانت القراءة عن نفسي أشبه بقراءة قصة أميرة لأول مرة.

استدرتُ نحوه وقلت بهدوء:

"جايسن... أظن أنني سأخذ عطلة هذا الأسبوع."

ارتسمت علامات الاستغراب على وجهه، بينما كان تركيزي كله منصبًا على عينيه الخضراوين.

"أليست لديكِ مقابلة غدًا؟"

تماسكتُ سريعًا، وكأنني أعلم ما يتحدث عنه.

"بالفعل... لكنني سأطلب تأجيلها."

كان الطريق طويلًا، وأنا غارقة في حماسي لهذه الحياة التي بدت خيالية.

وأخيرًا توقفت السيارة أمام فيلا فخمة.

نزلتُ بهدوء حتى لا أثير شكوكه، ثم تبعته إلى الداخل، لكنني لم أستطع إخفاء ابتسامتي عندما رأيت فتاة صغيرة تركض نحوي وهي تصرخ:

"ماما... اشتقتُ إليك!"

حملتها بين ذراعي واحتضنتها وكأنها جزء مني.

"لقد عدتُ، حبيبتي."

أنزلتها برفق، ثم أخذتُ أتجول في المنزل وأنا منبهرة بكل زاوية فيه.

بدلتُ ملابسِي من تلك الخزانة العملاقة، وارتشفت كوبًا من العصير، ثم انشغلت قليلاً بمنتجات العناية قبل أن أتجه إلى السرير.

وجدتُ جايسن نائمًا بالفعل.

"أظن أنني سأنام بجانب صغيرتي."

خرجتُ بهدوء متجهةً نحو غرفتها، وفجأة...

سمعتُ صرخة.

اندفعتُ مباشرة نحو مصدر الصوت في الأسفل.

كانت الأضواء مطفأة، والظلام حالًا.

نظرتُ حولي، لكنني لم أجد شيئًا.

تنهدتُ، واستدرت...

لينتفض قلبي، ويتجمد الدم في عروقي.

كانت تقف أمامي.

أكاد أجزم... أنها أنا.

همست ببرود:

"هل تعجبكِ هذه الحياة، ميراث؟"

سقطتُ إلى الخلف، أزحف مذعورة، بينما كانت تقترب...

خطوة...

ثم خطوات متسارعة.

انحنى حتى كاد وجهها يلامس وجهي، ثم قالت بصوتٍ بارد
كالجليد:

"أشفق عليكِ."

خرجت الكلمات من شفتيها كالسم، ثم...

اختفت.

وكأنها لم تكن هناك قط.

لم أستطع التحرك لعدة لحظات، ثم سمعتُ تصفيقًا.

رفعتُ رأسي لأراه ينزل الدرج، بشعره الأشعث وملامحه المرتبكة.

"سمعتُ ضجيجًا... ما بكِ يا ميرا؟ هل أنتِ بخير؟"

مدَّ يده ليساعدني على النهوض.

ابتسمتُ له ابتسامةً باهتةً وقلت:

"أنا بخير... فقط كنتُ مرهقة."

نظر إليَّ للحظة، ثم سأل بشيءٍ من الشك:

"إلى أين كنتِ ذاهبة؟"

أجبتُه وأنا أحاول الحفاظ على هدوئي:

"أردتُ الاطمئنان على لونا، ابنتنا." يوم
اتجهتُ نحو غرفتها، لكنه أمسك معصمي برفق وأوقفني.

"لا... لونا بخير. أنتِ من تحتاج إلى الراحة... هيا، اذهبي."

كانت تلك أول مرة في حياتي يهتم فيها أحدٌ بي.

لذلك، لم أجادله.

صعدتُ إلى الغرفة، وما إن وضعتُ رأسي على الوسادة حتى غلبني
النوم، وكأنني لم أنم منذ سنوات.
استيقظتُ على أشعة الشمس الدافئة بعد ليلةٍ غريبة.

نظرتُ حولي لأتأكد أنني لستُ داخل حلم، ثم جذبتني رائحةٌ زكية.
اتبعْتُ الرائحة حتى وصلتُ إلى الأسفل.

كان جايسن يحضر الفطور، بينما كانت لونا تجلس على الكرسي
تأكل الكوكيز بسعادة.

ابتسمتُ دون شعور.

"صباح الخير... استيقظتما باكراً."

رد جايسن مبتسمًا:

"بل أنتِ المتأخرة، أيتها الكسولة."

جلستُ إلى الطاولة وأنا ممتنة لتلك اللحظات...

حتى بقيتُ وحدي في المنزل بعد خروج جايسن ولونا.

ساد الصمت المكان.

دخلتُ كل غرفة، أبحث عن أي شيء قد يساعدني على فهم ما يحدث.

كل ما أتذكره أنني دخلتُ مسابقة...

لكن ما معنى كل هذا؟

هل المطلوب فقط أن نعيش أحلامنا؟

أم أن هناك شيئاً آخر؟

ظللتُ أتساءل لساعات، حتى قررتُ الخروج لعلمي أجد ما يقودني إلى إجابة.

ارتديتُ ملابسِي، ثم اتجهتُ نحو الباب الرئيسي.

أمسكتُ بالمقبض وسحبته...

لكنه لم يتحرك.

حاولتُ مرةً أخرى بقوة أكبر.

لا شيء.

بقيتُ هادئة رغم أن القلق بدأ يزحف إلى داخلي.

ذهبتُ إلى الباب الخلفي...

هو الآخر لم يُفتح.

ركضتُ نحو النوافذ.

كانت جميعها مغلقة بإحكام، والزجاج سميكا لدرجة أن كل ما رميته نحوه ارتدّ دون أن يترك أثرا.

بدأتُ أفقد أعصابي.

حتى إنني لم أعد أسمع شيئا سوى دقات قلبي.

تمتتُ بانفعال:

"أوه... هذا ليس لطيفا. إن كان مقلبا، فلم يعد مضحكا."

أخرجتُ هاتفي بسرعة واتصلتُ بالشرطة.

لا توجد إشارة.

جبتُ المنزل ذهابًا وإيابًا، حتى سمعتُ صوت الباب يُفتح.

ركضتُ نحوه فورًا.

"جايسن! كيف تجرأت على الخروج وتركى محتجزة هنا؟!"

نظر إليَّ بارتباك، بينما كانت لونا بين ذراعيه.

"ماذا تقصدين، عزيزتي؟ كيف احتجرتكِ بالضبط؟"

ضحكتُ بسخرية، ثم نزلتُ الدرج خطوةً خطوة.

"تتظاهر بالبراءة؟ حسنًا... سأريك."

اتجهتُ مباشرةً نحو النافذة.

أمسكتُ بها...

وما إن سحبتها حتى...

فُتحت بسهولة.

تجمدتُ في مكاني.

رفع جايسن حاجبيه، ثم قرص أنفه بحيرة.

"لم أفهم مزاعمك حتى الآن... هل ستشرح لي، أم أنها إحدى نوباتك؟"

بدا عليه الانزعاج.

تجاوزني دون أن ينتظر ردًا، ثم صعد إلى الطابق العلوي.

أما أنا...

فبقيتُ واقفةً في مكاني، أكاد أنفجر من الغضب.

همستُ لنفسي:

"هل أصبحتُ أهذي فعلاً؟"

مع مرور الأيام، استمرت حياتي الجديدة وكأنها كانت حياتي منذ البداية... ما عدا تلك الأمور الغريبة التي كانت تحدث لي بين الحين والآخر.

في تلك الليلة، كنتُ جالسة أشاهد أحد أفلام زوجي وحدي...

وفجأة، أمسك بي شيء من الخلف وسحبني.

لم أستطع رؤية شيء سوى ظله.

كانت امرأة في حجمي، تجرني وأنا أقاوم، حتى وصلنا أمام بابٍ حجري ضخم.

صرخت في وجهي:

"وقتكَ ينفد... جدي طريقكَ إلى الخارج!"

صرختُ فزعًا...

وعندها استيقظت.

كان حلمًا مريعًا، كعاداته.

أخذتُ كوبًا من الماء لأهدئ نفسي، ثم لاحظتُ أن جايسن ليس إلى جوارِي.

نهضتُ بهدوء.

نزلتُ إلى الطابق السفلي، لكن لم يكن له أي أثر.

شيءٌ ما دفعني إلى التوجه نحو القبو.

ولأول مرة، لاحظتُ أن بابه مفتوح.

دفعْتُ الباب ببطء، ثم نزلتُ درجةً بعد أخرى.

كان الضوء مشتعلًا.

وفي منتصف القبو جلس جايسن، تحيط به الكتب من كل جانب.

رغم أنني لم أصدر أي صوت...

استدار نحوي بعنف، حتى خُيِّل إليَّ أن رقبتَه ستتفصل من شدة السرعة.

قال بصوتٍ جامد:

"عودي إلى النوم."

اقتربتُ منه خطوة وسألته:

"ماذا تفعل هنا في هذا الوقت؟"

لم يجب.

بل كرر الجملة نفسها.

"عودي إلى النوم."

ثم بصوتٍ أعلى:

"عودي إلى النوم."

ثم أعلى...

"عودي إلى النوم."

ثم أخذ يرددّها مرارًا، وكل مرة كان صوته يزداد حدةً وحدةً، حتى شعرتُ وكأنّ الكلمات تخترق رأسي.

لم أتحمّل أكثر.

استدرتُ وصعدتُ الدرج بسرعة.

تمتمتُ وأنا ألّهتُ:

"هذا لا يبشر بالخير... عليّ إيجاد ذلك الباب اللعين."

وما إن أنهيتُ كلماتي...

حتى انقطع كل شيء.

استعدتُ وعيي...

في المطبخ.

كانت لونا تأكل الكوكيز، بينما كان جايسن يعد الفطور وكان شيئاً لم يحدث.

التفت إليّ مبتسماً، وهو يحمل المقلاة.

"اختاري يا عزيزتي... وافلز أم بان كيك؟"

لم أجبه.

نظرتُ إليه مباشرة وقلت:

"أخبرني... ماذا كنتَ تفعل البارحة في القبو؟"

استدار نحوي ببطء، والمغرفة في يده، وعيناه تلمعان.

ابتسم.

ابتسامة هادئة...

لكنها لم تطمئنني.

"عن ماذا تتحدثين، عزيزتي؟ ليس لدينا أي قبو."

أطلقت ضحكةً مريرة، ثم دفعتُ الكرسي بقوة واتجهتُ نحو المكان الذي دخلته الليلة الماضية.

توقفت.

اتسعت عيناوي.

اختفى.

لم يكن هناك أي باب.

ولا أي أثر لقبو.

همستُ بذهول:

"أين... أين القبو؟"

استدرتُ ببطء.

كان جايسن يقف خلفي، ينظر إليَّ بابتسامته اللطيفة نفسها.

لكن تلك الابتسامة...

اخترقت قلبي وأربكتني.

قال بهدوء:

"أي قبو، عزيزتي؟"

صرختُ فجأة:

"سأخرج!"

اندفعتُ إلى الخارج بملابس النوم، غير أبهة بشيء.

كنتُ قد حفظتُ الطريق عن ظهر قلب.

إلى اليمين... منازل الجيران الأثرياء.

إلى اليسار... المولات والميناء.

قررتُ ألا أسلك أي منعطف.

سأمشي في خط مستقيم فقط.

كلما ابتعدتُ...

قلَّ عدد الناس.

ثم اختفوا تمامًا.

وجدتُ نفسي أمشي وحدي، في صمتٍ غريب.

مرت ساعات.

حتى ظهر أمامي مبنى ضخم.

أسرعتُ نحوه.

وعندما اقتربت...

تجمدتُ.

لقد كان المبنى الذي أقيمت فيه جلسة التصوير.

في لحظة، امتلأ رأسي بالأسئلة.

"إنه لا يبعد أكثر من ساعتين سيرًا... فلماذا استغرقت رحلتنا بالسيارة وقتًا أطول؟"

رفعتُ بصري نحو الشمس.

كانت ساطعة...

لكنها لا تمنح أي دفء.

تنهدتُ، وأكملتُ السير في الاتجاه نفسه.

ولم تمضِ سوى دقائق...

حتى بدأت البيوت تظهر من جديد.

همستُ بقلق:

"هل... ذلك جايسن؟"

توقفتُ في مكاني.

كان منزلي.

منزلي نفسه.

شهقتُ وأنا أتمتم:

"لا... لا، لا، لا... هذا مستحيل. لم أسلك أي منعطف... من المستحيل أن أعود إلى هنا."

اقترب جايسن من جهة، بينما اقتربت لونا من الجهة الأخرى.

لم أتمالك نفسي، فانهرت.

قال جايسن بصوتٍ هادئ:

"لا تبكي، عزيزتي... ألا تحبين حياتك؟ أليست هذه الحياة التي كنت تحلمين بها؟"

ثم قالت لونا بابتسامة بريئة:

"ماما... لا تقلقي، أنا لن أتركك وحدك."

دفعتهما بعيدًا بغضب، وأنا أصرخ:

"ابتعدا عني! لا أحد منكما حقيقي!"

لكن...

لم تختفِ ابتسامتهما.

بل واصلتا التقدم نحوي ببطء.

استدرتُ وركضت.

وكلما التفتُ خلفي...

وجدتهما هناك.

يمشيان ببطء.

لا يركضان.

لا يتوقفان.

فقط...

يقتربان.

وبدأ يرددان، بالتناوب، بصوتٍ اخترق رأسي:

"لماذا تهربين؟ أليست هذه حياتك التي كنتِ تحلمين بها؟"

"ماما... لطالما أخبرتني أنك لن تتركيني، فلماذا تهربين؟"

ثم من جديد...

"لماذا تهربين؟ أليست هذه حياتك التي كنتِ تحلمين بها؟"

"ماما... لطالما أخبرتني أنك لن تتركيني، فلماذا تهربين؟"

مرة...

وأخرى...

وأخرى...

حتى أصبح صوتهما يطاردني من كل اتجاه.

أغلقْتُ أذنيَّ بكلتا يديَّ، وركضْتُ بكل ما تبقى لديَّ من قوة.

لكن...

لم يكن هناك مفر.

خارت قواي.

وسقطتُ منهاراً...

أمام عتبة منزلي.

وكانني...

لم أغادره قط.

في تلك الليلة، كنتُ أجلس وحدي أشاهد أحد أفلام زوجي.

وفجأة...

أمسكني شيء من الخلف، وسحبني بعنف.

لم أرَ سوى ظله.

كانت امرأة في حجمي، تجرني كما اعتادت.

لكن هذه المرة...

كنت أعلم أنه حلم.

لذلك تجاهلتُ خوفي، وصرخت فيها:

"كيف أجد ذلك الباب؟! أخبريني... قبل أن أفقد عقلي!"

توقفت عن سحبي.

ثم...

استدارت ببطء.

وأظهرت وجهها.

كان...

وجهي.

أنا.

لكن...

أنا القديمة.

نظرت إليّ طويلاً، ثم سألت بهدوء:

"هل أنتِ مستعدة للتخلي عما كنتِ تحلمين به؟"

أجبتها دون تردد:

"أنا نادمة على أحلامي بالفعل... لذا نعم."

استيقظتُ فجأة.

ابتسمتُ تلقائياً...

لكن ابتسامتي اختفت عندما وجدتُ نفسي ما زلتُ في ذلك المكان
الملعون.

قفزتُ من السرير، متوقعةً أن أجد ذلك الكائن، أو جايسن، أو لونا...

لكن...

لم يكن هناك أحد.

دخلتُ كل غرفة.

واحدةً تلو الأخرى.

المنزل...

فارغ.

خرجتُ إلى الشارع.

هو الآخر...

كان خاليًا تمامًا.

لا سيارات.

لا بشر.

لا صوت.

لا شيء.

واصلتُ المشي، وأنا أنظر حولي بحذر.

حتى وصلتُ إلى ذلك المبنى.

نظرتُ إليه للحظة...

ثم تجاهلته.

وأكملتُ طريقي.

تمتُّ لنفسي بيأس:

"سأعود إلى المنزل مجددًا... لا أظن أنني سأغادر هذا المكان يومًا.
هل أصبحت حتى الأحلام محرمة؟"

لكن...

شيئًا ما أوقفني.

بابٌ حجري ضخم.

لم يكن موجودًا من قبل.

وفي منتصفه...

مقبض صغير.

وفوقه كلمة واحدة، منحوتة في الحجر:

"مبروك."

اتسعت عيناى.

اندفعتُ نحوه بكل ما أملك من قوة.

وضعتُ يدي على المقبض.

ثم...

فتحته.

اندفعتُ نحو الباب بسرعة، ثم فتحته.

وفي تلك الظلمة التي طفوتُ فيها أول يوم...

عدتُ إليها.

لكن هذه المرة، شعرتُ بشيءٍ من الحنين.

أغضتُ عيني...

وعندما فتحتهما، وجدتُ نفسي في غرفةٍ بيضاء، تحيط بي الأجهزة
من كل جانب.

احتجْتُ بضع لحظات حتى أدركتُ...

أنه المستشفى.

وأدركتُ أيضًا...

أنني عدت.

نظرتُ حولي.

لم يكن هناك أحد إلى جانبي.

فقط...

كيسٌ أحمر كبير، وُضع بجوار سريري.

كان مكتوبًا على زاويته كلمة واحدة:

"مبروك."

مددتُ يدي إليه ببطء.

قلبته بين يدي.

ثم فتحته.

امتلاً برزَمٍ من الأوراق النقدية، جميعها من فئة المئة دولار.

أغلقتُ الكيس بهدوء.

لكنني...

لم أشعر بالسعادة.

حدقتُ فيه طويلاً، ثم تمتمت:

"على الأقل... سيذكرني هذا بأنني نجوت."

رفعتُ بصري إلى سقف الغرفة.

وتساءلتُ في داخلي:

"هل يوجد شيء اسمه السعادة حقاً؟"

تنهدتُ ببطء.

"لا أظن أنها موجودة في الواقع..."

ثم أغمضتُ عيني للحظة، قبل أن أهمس:

"لكنني أدركت الآن... أن حتى أحلامنا قد تتحول إلى كابوس."

الكاتبة زينب

نسيت أن أعود

دخلتُ باب الوهم، ولم أخرج، أو ربما خرجت... لكنني تركت شيئاً مني في الداخل، شيئاً لم أعرف قيمته إلا بعدما بدأت أفقده، فعدت أبحث عنه، ثم نسيت ما الذي كنت أبحث عنه أصلاً، ونسيت لماذا دخلت، ونسيت إن كان الباب الذي عبرته باباً فعلاً أم مجرد فكرة اخترعتها في لحظة لم أعد أذكرها، لكنني كنت متأكداً من شيء واحد؛ أنني كنت في مكانٍ ما، مكانٍ لا يشبه العالم، ومع ذلك كان يشبهني أكثر مما ينبغي.

في البداية، ظننت أن الوهم هو أن أرى ما لا وجود له، ثم أدركت أن الأمر لم يكن بهذه البساطة، فالوهم لا يأتيك دائماً على هيئة شيءٍ مستحيل، أحياناً يأتيك على هيئة شيءٍ تمنّيته كثيراً حتى يصبح وجوده أكثر تصديقاً من الحقيقة نفسها، يمنحك وجهاً اشتقت إليه، وحياةً تمنيتها، وإجابةً انتظرتها، ثم يجلس بجانبك بهدوء، لا يجبرك على البقاء، ولا يغلق الباب خلفك، فقط يجعلك تنسى أنك دخلت.

وهذا ما حدث لي.

نسيت أنني كنت أبحث عن الخروج، لأنني وجدت في الداخل كل ما كنت أبحث عنه في الخارج، ونسيت أنني كنت أكره الوحدة لأنني لم أعد أشعر بها، ونسيت أنني كنت أريد الحقيقة لأن الوهم كان أكثر لطفًا منها، وأكثر دفئًا، وأكثر قدرةً على ترميم الأشياء التي كسرتها الأيام، حتى بدأت أشك في أنني كنت مكسورًا أصلاً، وربما كانت الحقيقة هي التي أقنعتني بذلك كي أهرب منها.

كنت أعيش داخل شيءٍ لا أعرف اسمه، لكنه كان يعرف اسمي.

كلما شعرت بالخوف، تغيّر الطريق.

كلما شعرت بالحزن، اختفت الذكرى.

كلما حاولت أن أتذكر من كنت قبل أن أدخل، وجدت شخصًا آخر يشبهني، لكنه لا ينظر إلى الأشياء

بالطريقة نفسها، ولا يحمل الألم نفسه، ولا يتذكر
لماذا كان يريد الخروج.

كنت أظن أنني أتغير.

ثم فهمت أنني كنت أمحي.

ببطء.

بهدوء.

دون ألم واضح.

وهذا هو الشيء الأكثر رعبًا في الوهم؛ أنه لا
يبتزحك من نفسك دفعةً واحدة، بل يأخذ منك أجزاءً
صغيرة، صغيرة جدًا، حتى لا تلاحظ غيابها، يأخذ
خوفًا هنا، وذكرى هناك، ورغبةً قديمة، واسمًا،
ووجهًا، وحلمًا، ثم يتركك واقفًا أمام المرأة، كامل
الجسد، ناقص الروح، تحدّق في انعكاسك وتتساءل

لماذا يبدو وجهك مألوفًا إلى هذا الحد، ولماذا تشعر
أنك تقابل غريبًا تعرفه منذ سنوات.

وفي يومٍ ما، تذكرت الباب.

لم أعرف كيف.

فقط تذكرت أنني دخلت من مكانٍ ما، وأني لم
أخرج.

بدأت أبحث.

لكنني لم أجد شيئًا.

سألت المكان عن الباب، فلم يجب.

سألت الوجوه، فابتسمت.

سألت نفسي، فلم أعرف.

وحينها أدركت أنني لم أكن أبحث عن الباب حقًا،
كنت أبحث عن الشخص الذي فتحه.

وهنا كانت الكارثة.

لأنني لم أعد أعرف إن كان ذلك الشخص أنا.

أو إن كان أنا هو الشخص الذي بقي في الخارج.

ومنذ ذلك الحين، كلما أغمضت عيني، أرى الباب.

وكلما فتحتة، أجد خلفه عالمًا آخر.

وفي كل عالم، أكون متأكدًا أنني هذه المرة سأخرج.

لكنني لا أخرج.

أدخل فقط.

أدخل أكثر.

أعمق.

حتى لم أعد أعرف أين ينتهي الوهم، وأين تبدأ الحقيقة، أو إن كانت الحقيقة موجودة أصلاً، أو إن كنت قد اخترعت فكرة الحقيقة فقط لأملك شيئاً أهرب إليه، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش داخل الفراغ، لذلك يصنع لنفسه عالماً، ثم يصدقها، ثم يخاف أن يكتشف أنه هو من بناه.

ربما لهذا السبب لم أخرج.

ليس لأن الباب كان مغلقاً.

بل لأنني كنت أخاف مما سيحدث عندما أكتشف أنني أملك المفتاح.

وربما لأنني، في مكانٍ ما بداخلي، لم أكن أريد الخروج.

كنت أريد أن أستمر في التصديق.

أن أعيش في الكذبة التي تمنحني ما لم تمنحني الحقيقة.

أن أستيقظ كل يومٍ في عالمٍ لا يطلب مني أن أكون الشخص الذي كنت عليه.

لكن المشكلة أن الوهم لا يسمح لك بالبقاء كما أنت.

فحتى حين يمنحك عالمًا كاملاً، يبدأ بأخذك منه.

وفي النهاية، لا يعود لديك شيء تخسره.

إلا نفسك.

وعندما حاولت العودة، لم أعرف الطريق.

وعندما وجدته، لم أعرف إن كان هو الطريق فعلاً.

وعندما وقفت أمام الباب، لم أستطع فتحه.

ليس خوفاً من العالم خلفه.

بل خوفاً من أن أجد نفسي هناك.

فماذا لو كانت الحقيقة تنتظرني؟

ماذا لو لم يكن هناك أحد؟

ماذا لو كان كل ما أحببته، وكل ما عشت، وكل الوجوه التي تحدثت إليها، مجرد انعكاسات لشيء كنت أفقده؟

ماذا لو كنت وحدي طوال الوقت؟

مددت يدي نحو المقبض.

ثم توقفت.

لأنني سمعت صوتًا خلفي.

صوتي.

يقول:

لا تخرج.

التفتُ.

لم يكن هناك أحد.

لكن الصوت عاد.

لا تخرج.

لماذا؟

لأنك إذا خرجت، ستعرف.

ماذا سأعرف؟

أنك كنت تعرف طوال الوقت.

وبقيت واقفاً.

يدي على الباب.

والحقيقة في الجهة الأخرى.

والوهم خلفي.

أو ربما العكس.

لم أعد أعرف.

وهذا هو الشيء الوحيد الذي أعرفه الآن.

أنني دخلت باب الوهم ذات يوم.

وأنني منذ ذلك الحين أبحث عن طريق الخروج.

لكنني كلما اقتربت منه، اكتشفت أنني لا أبحث عن
الخروج حقًا.

كنت أبحث عن سببٍ يجعلني أبقى.

وربما...

وجدته.

لأن بعض الأوهام لا تكون سجنًا حتى نكرها.

بعضها يكون المكان الوحيد الذي نشعر فيه أننا ما
زلنا نعيش.

ولهذا، إن رأيتني يومًا أبتسم وأنا أحتق في الفراغ،
فلا تظن أنني شارد.

ربما أكون هناك.

خلف الباب.

أو أمامه.

أو في مكانٍ بينهما.

وربما أكون قد خرجت أخيرًا.

لكنني نسيت أن أعود.

الكاتبة إبتسام الوردى

الفصل الرابع

باب التلاشى



ما بقي مني

لم يخبرنا أحد من أرسل الدعوات. وصلتني ورقة سوداء لا تحمل اسم مرسل ولا ختمًا، وفي وسطها جملة واحدة: "إذا أردت النجاة... فافتح الباب الذي يخشاه الجميع." في الموعد المحدد، وجدت نفسي داخل قاعة حجرية شاسعة مع عشرات الغرباء. كان الصمت أثقل من الجدران، وأمامنا صف طويل من الأبواب السوداء، يحمل كل باب اسمًا واحدًا: باب الندم... باب الحقيقة... باب الوهم... وباب التلاشي. قبل أن نسأل، دوى صوت مجهول في أرجاء القاعة: "لكل واحد باب واحد. النجاة ليست مضمونة."

بدأت الأبواب تتوهج واحدًا تلو الآخر، حتى اشتعل اسمي على باب التلاشي. ساد الصمت. نظر إلي الجميع كما لو أنني ميت بالفعل.

دفعت الباب... وجدت نفسي داخل غابة لا تعرف النهار. كانت الأشجار سوداء، ولحاؤها يتشقق كجلد محترق، بينما تقطر من أغصانها قطرات حمراء كثيفة تشبه الدم. لم يكن هناك طريق

واضح، لكن بين الجذوع ظهرت أحجار بيضاء رُسم عليها سهم
يتجه إلى الأمام.

كلما تقدمت، سمعت همسات تناديني باسمي. ثم توقفت. على
الأرض كانت جثة متييسة، وفي يدها دفتر جلدي. فتحته بسرعة،
فوجدت آخر ما كتبه صاحبه: "إذا أصابك الوحش... لن تنزف
دمًا، بل ستنزف نفسك." وفي الصفحة التالية: "كل جرح يمحو
ذكرى."

قبل أن أستوعب الكلمات، دوى خلفي صوت احتكاك ثقيل.
التفت... ورأيت. لم يكن الوحش يشبه أي مخلوق عرفته. جسده
مغطى بوجوه بشرية تتحرك ببطء، وكل وجه يتمم باسم مختلف.
كانت الأسماء تخرج من أفواهها ثم تختفي داخل جسده، كأنه
يبتلعها.

اندفع نحوي. هربت بين الأشجار، لكن مخالبه لحقت بكثفي. لم
أشعر بالألم... بل نسيت. توقفت فجأة، أحاول تذكر وجه أمي... لم
أستطع. اختفى وجهها من ذاكرتي كما لو أنه لم يوجد قط.
ارتجفت. إذا... هذا هو التلاشي. كل إصابة لا تقتل الجسد، بل
تقتل الماضي.

واصلت الهرب حتى عثرت على رجل عجوز يختبئ داخل جذع شجرة مجوف. نظر إلي بعينين خاليتين وقال: "كم ذكرى خسرت؟"

أجبت بصوت مرتجف: "واحدة."

ابتسم بحزن. "إذا ما زال لديك وقت."

أخبرني أن الوحش ليس حارس الباب... بل هو الباب نفسه. كل من فشل في النجاة سُرقت ذكرياته واسمه، ثم انضم إلى ذلك الكيان. لذلك كانت الوجوه تغطي جسده، وكانت الأسماء لا تتوقف عن الهمس.

ثم سلمني قطعة حجر صغيرة نُقش عليها رمز غريب. "هذا ليس مفتاح الخروج... بل مفتاح التذكر."

قبل أن أسأله شيئاً، خرج الوحش من بين الأشجار. قفز العجوز أمامي ليمنحني وقتاً للهرب. صرخ وهو يختفي بين مخالبه: "لا تدعه يأخذ اسمك!"

ركضت حتى وصلت إلى دائرة حجرية تتوسط الغابة. في وسطها
مرآة سوداء، وتحتها عبارة محفورة:

"من عرف نفسه... نجا."

فهمت الحقيقة. الوحش لا يستطيع سرقة ما يتمسك به صاحبه.
وضعت الحجر على المرآة، وأغمضت عيني، وأخذت أردد اسمي
وكل ما بقي في ذاكرتي... أسماء أحبتي، أحلامي، مخاوفي، وكل
ما يجعلني أنا.

بدأت الوجوه التي تغطي الوحش تصرخ. تشققت المرآة. واهتزت
الغابة كلها. ثم انفتح باب من الضوء. قفزت نحوه قبل أن يمسكني
الوحش بلحظة واحدة.

استيقظت داخل القاعة الحجرية من جديد. كان كل شيء كما هو.
لكن الوجوه التي كانت معي نظرت إلي باستغراب.

قلت بصوت متعجب: "لقد عدت..."

أجاب أحدهم: "من أنت؟"

تجمدت. اقتربت من باب التلاشي. لم يكن اسمي مكتوبًا عليه. لم يكن هناك أي أثر يدل على أنني دخلته أصلًا. حتى الدعوة السوداء التي كانت في جيبى أصبحت ورقة بيضاء فارغة.

حاولت أن أصرخ باسمي... لكنني، ولأول مرة، عجزت عن تذكره.

في تلك اللحظة فقط أدركت الحقيقة المرعبة...

لقد نجوت من الوحش...

لكن باب التلاشي أخذ مني آخر ما يثبت أنني كنت موجودًا يومًا ما.

إسمي.

الكاتبة سلمى

الفصل الخامس

باب الذكرى المجهولة



مقبرة الذكريات

لا أعرف لماذا أو كيف وصلت إلى هنا، حتى إنني لا أعرف من أكون. جدران حجرية تحوم بي، وهواء ثقيل على الرئتين في الأرجاء، وتماثيل مرمية بلا مبالاة، ولكن باتقان يخيف القلوب. هدوء صاخب، وأروقة متفرقة بعثمة الليل.

نطق صوت غليظ من خلف الظلال: "اختاري أحد التي أمامك، وستكون نهاية قدرك إما حياة أو موت، وإن لم تريدي كليهما فستصيرين عبدة مثل الجميع."

شُلت ركبتي، وتوقف قلبي عن النبض عند سماعي هذا الصوت وهذه الكلمات التي تخنقني بحروفها. بدأت أتلفت لأجد مصدر الصوت، ثم قلت: "م... من تكون؟ ولماذا أنا هنا؟ ومن أكون؟ وهل هناك من هو مثلي؟"

رد صاحب الصوت المجهول أمرًا: "لا تكثري من الأسئلة، تحركي، وإلا ستكون نهايتك عفة، وترين الجحيم كأنه نعيم. هيا!"

لقد تحركت قدماي لا إراديا، وكأنهما خافتا من نبرة صوته. لا أعلم كيف، ولكن حطت قدمي في رواق من أحد تلك الأروقة المظلمة، ثم أخذت أمشي وأمشي حتى وصلت إلى ذلك المكان.

نطق الباب: "شكرًا على تلبية الدعوة يا انا أنسة كاميليا."

كان الباب رهييًّا، مرعبًا وجميلاً في آن واحد، وكان الهيبة تنحني له، مسلمة له عرشها. نبض اسمي على ذلك الباب بحروف من دم، وانزلت القطرات الحمراء، وأصدر الباب صريحا، وما زال قلبي يقطر خوفاً.

تشبثت بحبل الشجاعة للمرة الأولى والأخيرة في حياتي، قلت لنفسي كاذبة: "تستطيعين فعلها، أنت لها يا كاميليا، ستخرجين وتعودين إلى المنزل، وتطبخين، وتلومين والدتك على ماضيها الذي سبب لك الإحراج في حياتك. فقط عليك أن تتحركي، تشجعي."

رد الباب: "من يدخل إلى باب الذكريات يفقد صاحب الذكرى التي تطفل عليها، لذلك احتفظي بصبرك إلى يوم الجنازة."

قفز قلبي، وتوقفت أنفاسي. لا أستطيع أن أتحرك. كيف لباب أن يعرف ما يحوم في خلدي؟

لملمت شتات نفسي، وأسقطت أول ساق على عتبة الباب. خطوة، خطوتان، ثلاث خطوات، وأغلق الباب خلفي. دوامة من الرياح العاتية بدأت تدور، تحطم كل ما أمامها. ارتعبت، لكن لم تلمس شعرة مني، وبرمشة عين وجدت نفسي أقف أمام بيت كأنه مألوف، ولكن كل شيء من حولي ضبابي.

أنا تائهة، ماذا أفعل؟ هل أنتظر أم ماذا؟ وفجأة فُتح الباب.

أنا خائفة، أريد أن أحضن أمي، أن أبكي، أشكو لها ما يحدث معي. هل أنا في حلم أم ماذا؟ فقط أريد أن أقول لها: "أنا آسفة للومي لك على ماضٍ لم تختاريه، بل كان

مقدراً لك. أريد أن أشكرك على تربيّتي كل تلك السنوات، على الحنان الذي لم تبخلي عليّ به، على تفهمك لي في كل مرة، على استماعك لي، على حمايتك لي من نفسي. ولكن يا حسرتاه!"

دخلت ذلك المنزل، وخيوط العنكبوت تزين أرجاءه، ورائحة الغبار تعبق، والجدران متشققة، وكأنها تحكي قصة حزن لم تُرو بعد.

قلت في نفسي: "م... ما هذا؟"

وجدت نفسي أقف أمام شخص لا أعرف جنسه، هو بدون ملامح. لحظات خطفت روحي من جسدي. ما هذا الرعب الذي أعيشه؟ هل أنا في فيلم؟!

عبرت من خلالي. لا زلت مرتعبة من الموقف الأول حتى طاردني الثاني. عرفت من نبرة صوتها أن جنسها امرأة. قالت بكلمة نفسها: "لماذا فُتح الباب هكذا؟ أظن أنها الرياح فقط، ظننت أن روبن أتى."

ثم مسحت على بطنها المكورة وأردفت: "لم يبقَ الكثير
يا حبيبي وتأتي إلى هذا العالم، وننتشارك الهموم."

حتى ضرب الباب جدران المنزل المتهالك بقوة، ودخل
شخص آخر بعصبية يمشي ثملاً. توجه بسرعة إلى
المرأة، وخنقها وهي تتلوى في يديه وتتوسل إليه أن
يتركها، ولكن دون جدوى. صرخ في وجهها، ودموعها
البريئة تنزلق على خديها كأنها شلال:

"ألم أقل لك أن تجهضيه؟ ها، أم تريدين الموت؟ كيف
أستطيع أن أتحمل مسؤولية فم آخر في هذا المنزل؟"

ردت عليه وهي تشهق: "كيف أستطيع أن أقتل من
حملته لشهور؟ كيف أستطيع أن أرميه للموت بيدي،
وهو من عاش في أحشائي لأيام؟ كيف أجهض من
آنسني في وحدتي؟"

اعترض: "هل طلبت منك أن تشكي لي أو تحكي لي
قصصك الجميلة مع جنينك؟ لقد أمرتك أن تجهضيه،
وكلامي كان واضحاً، أليس كذلك؟"

ردت: "إما أموت مع ابني، أو سنبقى معاً."

ضحك الرجل ضحكة ارتجت لها الحيطان، وقال
بصوت هازئ: "إذن تريد الموت؟ حسناً، سأقدمه
لك."

أشهر الخنجر، وخطا خطوات ثابتة، هادئة ومخيفة،
تتذر باقتراب خطر، ثم انقض على زوجته وكأنها
فريسة. وأنا أشاهد، أحاول أن أساعدها، لكنني غير
مرئية.

حاربت المرأة، وجاهدت من أجل البقاء، ودافعت عن
نفسها بكل ما أوتيت من قوة، وتفادت عدة ضربات،
وفجأة تدفقت الدماء، وتجمعت في بركة.

ثم ظهرت معالم الأشخاص لي. لقد رأيتهم، أجل.
تساقطت دموعي وكأنها من نار، ورسمت قارات على
وجهي. بكيت حتى جفت جفوني، وتابع قلبي البكاء بدلاً
من عيني. احترقت.

إنه ماضي أمي التعيس الذي بسببه تعفنت في السجن.
كيف استطعت لومها كل يوم، ولم تحزن مني أبدًا؟ كيف
لي أن أفتح لها جرحًا غائرًا مع والدي؟ لقد دافعت عن
طفلها... دافعت عني.

أكلني الذنب، وبكيت وبكيت حتى نسيت من أكون، ثم
حدث ما حدث، وأُغمي عليّ من شدة الحزن.

استيقظت في اليوم التالي، وأنا في نفس مكاني، وجثة
الزوج لا تزال في مكانها. سمعت ضجيجًا خفيفًا في
الطابق الثاني، فصعدت بسرعة لأجد أمي تتقيأ، قابضة
على بطنها وتبكي بحرقة.

ذهلت، وتوقفت عن التفكير، وأصابني الدوار.

"كيف؟ هذا يعني أنني لا... لا... لا أستطيع أن
أفهم، ولكن لا يوجد تفسير غير أنني لم أكن ذلك
الجنين.

تذكر:

كانت الفتاة تمشي على الرصيف، وعلامات الحزن تبدو على وجهها الجميل. كانت عيناها بنيتين مائلتين إلى السواد، وشعرها الكستنائي المموج متدليًا على كتفيها. تسالت دمة يتيمة على وجنتيها، وعيناها تبدوان كحبتين كريستال.

وصلت أمام الباب لتدق ثلاث دقات. فتحت أمها متسائلة، وابتسامة دافئة تعلو وجهها: "ما بك يا عزيزتي كاميليا؟ من الذي تجرأ على أذية ابنتي الرائعة الحسنة؟"

ردت كاميليا ببرود يقتل القلب: "أخبرك باسمه لتذهبي وتقتليه أم ماذا؟ آه، تذكرت، لا تستطيعين قتل نفسك لأنك أنت السبب يا... أمي."

قالت هذه الكلمات السامة التي لدغت قلب أمها، ولكن لم تبدُ الأم أي ردة فعل. قالت الأم: "حسنًا يا ابنتي، اذهبي واغسلي يديك وتعال لي تناول الفطور، وسأعيد لك هذه الكلمات كل مرة. ليس كل من يضحك سعيدًا، وكل من دخل السجن ظلمًا، وكل من قتل مجرم. مرات نمشي

في طريقنا، فتلاقينا ظروف تجعلنا نتلبس الشخصية
المظلمة منا لكي ننجو."

قالت كلماتها بغصة، وتابعت: "هل سألت يوماً لماذا
أمي دخلت السجن؟ كيف عاشت تلك الأيام الموحشة؟
ولكنك أنانية، لا تفكرين إلا في مصلحتك. لا علينا، لا
يوجد على وجه الأرض مثالي، كلنا معاقون بعيب. فقط
اجعلي عقلك في رأسك لمرة واحدة، ولا تستمعي
لكلامهم؛ لأن الناس تسمع فقط آخر الحكاية وليس
بدايتها، ليس لأنهم لا يستطيعون السؤال أو جاهلون، بل
لأنهم يبحثون في عيوب الناس ليتستروا على عيوبهم
وأخطائهم، فلا يوجد في هذه الحياة من لم يخطئ."

تذكرت ذلك اليوم، وعدت من غيبوبة أفكاري، ثم في
لحظة انتقلت إلى ذكريات أمي في السجن. وجدت نفسي
أراقب والدتي التي فقدت طفلها وزوجها ونفسها
وحريتها في يوم واحد. رأيت كيف دخلت في حالة كآبة
وحزن عميق، وكلما أرى وحدة أمي يحفر لي الندم
حفرًا في قلبي.

ثم، وفي لحظة، وجدت نفسي في ذكرى أخرى: كوخ
صغير قرب شاطئ بحر، تضرب الأمواج على

جدرانه، وشمعة تضيء في غرفة في الطابق الثاني. ثم رأيت طفلة رضيعة تبكي في سلة. طرق رجل مجهول الملامح الباب، ثم هرب. فتحت امرأة الباب، وإذا بها تكون... والدة كاميليا.

قلت: "لا، لا، لا يمكن! لقد اكتفيت من كل هذه الأسرار. يعني أنني لست حتى ابنتها الحقيقية؟ ربتي، واعتنت بي. أحيانًا يكون الجهل نعمة."

كيف هذا؟ أخذت أراقب أمي، ونظرات الشك تعلو وجهها على هذه الفتاة، ثم ابتسمت ابتسامة وكأن العالم بيديها، وأدخلتها، وهكذا راقبت الطفلة وهي تكبر. كل عام وأما سعيدة بها، تمسح دموعها حين تبكي، وتداوي جراحها، وتلعب معها.

ثم كبرت عامًا، وعامين، إلى أن أصبح عمرها كعمري. ثم، وفي غمضة عين، وجدت نفسي أمام الباب الذي أتيت منه، وعلامات الذنب والحزن تعلو وجهي.

تکلم الباب: "لقد تجاوزت باب الذکریات بنجاح،
وصمدت واكتشفت حقیقتك وحقیقة مربیتك، أو والدتك
التي ظلمتها. تعازي لك يا کامیلیا."

أجبت: "ماذا؟ لماذا تعزینی وكأن لی جنازة؟"

رد علی الباب: "نعم، لديك جنازة. ألم أقل لك إن من
يخرج من هذا الباب يفقد صاحب الذکری التي تطفل
عليها، وأنت تطفلت على ذکریات أمك."

تابع: "والآن حان وقت الرحیل. لا تسألني أكثر؛ لأن
الجهل أحياناً يكون نعمة. وداعاً."

وفجأة استيقظت من نومي، ودموعي تنهمر، وأنا أمشي
وأندرج، وأسقط ثم أنهض. فتحت باب المطبخ،
وصعدت إلى طابقها، وفتحت باب غرفتها، فلم أجدها.
فتحت كل الغرف، وبحثت ولم أجدها، إلى أن وجدتھا
على كرسيها الهزاز في الحديقة، مستلقية، وابتسامة
تعلو وجهها، مغمضة عينيها اللتين راقبتاني.

أسرعت إليها، وهزرتها، وصرخت: "أمي، استيقظي!
لا يمكن، كل ذلك كان... لا يمكن أن يكون حقيقة. لا
أستطيع أن أعيش. فقط استيقظي لكي أودعك، لكي
أقول: آسفة. أرجوك أمي، أنا ابنتك التي تحبك."

ضربت الحائط بيدي حتى سالت الدماء، وسقطت وأنا
أبكي، واحتضنت نفسي، لكن لن تعود، يا أسفاً عليّ
وعلى حياتي.

احتضنت جثة أمها، وبكت بحرقة حتى أغضت
عينها، ورقدت مع أمها نومًا بلا عودة إلى الحياة.

الكاتبة لورا

من رماد الذكريات

قاعة حجرية...، طاولة مستديرة التفّ حولها مجموعة من الفتيات، لم أعرف أيًا منهن، كانت تحيط بها أبواب عملاقة، كل باب يحمل نقوشًا غريبة وألوانًا مختلفة، حتى التفتّ خلفي، لا أدري ما الذي أوصلني إلى هنا، ولم أتجرأ على أن أسأل أي واحدة منهن، سطع أحد الأبواب هناك، كان رماديّ اللون، كأنها ترمي لعقلي باحترق شيء مهم، اقتربت من الباب لأرى ما نُقش عليه بوضوح، كانت هناك نقشة لرأس وعينان نصف مغمضتين، بينما تربّع فوق الرأس عقل كانت تلتف حوله خيوط سوداء قاتمة، بينما كُتب فوق النقش: "باب الذكرى المجهولة".

وبالأسفل سطع اسمي، ولا شعوريًا وجدت نفسي فتحت الباب ودخلت إلى مكان مختلف تمامًا عن القاعة التي كنت بداخلها.

انبتقت إلى أنفي رائحة شاي وخبز، فتحت عيني لأجد نفسي قد كنت مغمى عليّ في غرفة لفتاة، جميلة وجذابة وغريبة بعض الشيء؛ لأنها جمعت بين جدرانها اللونين الأسود والوردي، سمعت نداء امرأة بدا من الطابق السفلي.

_"سحر... سحر... هيا استيقظي!"

تساءلت في نفسي: من تكون هذه الفتاة؟ وقفت من على السرير، لم أنتبه لملابسي التي تغيرت، كنت أرتدي فستانًا قصيرًا أبيض اللون زُيّن ببعض الورود الزهرية والحمراء... لكن لحظة! لون بشرتي بدا أكثر بياضًا ونصاعةً، اتجهت فورًا إلى المرأة التي اتكأت على الحائط الذي بجانب السرير.

يا إلهي! ما الذي حدث لي؟!

لقد تغيرت ملامحي تمامًا، أصبحت أقل سنًا مما كنت عليه وأكثر جمالًا وجاذبية، شعري البني القصير أصبح لونه أسود حالكًا طويلًا، وبين خصلاته برز لون وردي قاتم، ملامحي تغيرت، وجهي مستدير، وعياني واسعتان برموش كثيفة، لم أحلم يومًا بأن يصبح بهذا الحجم حتى مع إضافة الرموش الاصطناعية!... حتى لون عينيّ قد تغير، حيث كانتا سوداويين، والآن هما عسليتان... يا إلهي ما هذا؟! جسدي بدا لفتاة في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها، كان في رقبتني قلادة فضية توسطتها دائرة حمراء نُقش عليها

يعود إلى صاحبة هذا S عرفت أن حرف ،K و S حرفا
من يكون؟ K الجسد كما ذكرت المرأة سابقًا، لكن

سمعت باب الغرفة يُطرق، اتجهت ببطء نحوه وقمت بفتح
الباب، كانت خلف الباب امرأة بدت في الأربعينيات من
عمرها، ترتدي قلنسوة تغطي نصف وجهها تقريبًا، ذلك
المنظر لم يشعرني بالارتياح أبدًا، كانت ترتدي فستانًا طويلًا
بأكمام بلون أزرق داكن، ومئزر الطبخ، حاملة في يديها
صينية بها صحن احتوى القليل من المكسرات والحليب،
وكأس ماء بجانب الصحن، نزعت القلنسوة عن وجهها،
فظهرت ملامحها، بدا عليها الإرهاق والتعب، امرأة بلامح
جميلة وجذابة، عيناها عسلتان وتشبهان إلى حد كبير عينيَّ،
تجاعيد توزعت على جانب عينيها وفي جبهتها، وقد بدت
أكبر مما توقعت، ثم نطقت لتخرجني من شرودي.

__ "ما بالك يا فتاة؟"

أجبت محاولة طرد الشك الذي ظهر في ملامحي.

__ "لا... لا شيء."

__ "حسنًا، تفضلي، إذا احتجتِ إلى شيء آخر فأقْبلي إلى المطبخ، فأنتِ تعرفين طريقه أليس كذلك؟! " ثم أكملت حديثها بسخرية واضحة: __ "أم نسيتِ مكانه؟"

أجبت منهيّة الحديث:

__ "نعم، أعرف مكانه."

أمسكت بصينية الطعام وأغلقت الباب بعدما رحلت تلك المرأة، أحسست أن هذه المرأة حتمًا ليست والدة سحر.

ولجت إلى السرير وأنا أتأمل ملامح هذه الفتاة التي سكنت روحي جسدها، وأتساءل:

__ "ما الذي يمكن أن يكون حدث معها؟! "

__ "هل هي تسكن جسدي كذلك؟.. "

__ "هل هذا جسد لفتاة متوفاة!.. "

__ "لا... لا، حتمًا، فإن كانت ميتة فلم قد تتحدث معي تلك المرأة؟"

وبين الصراعات التي كانت تدور في نفسي والأسئلة التي تصيب عقلي، لفت انتباهي مكتب الفتاة، كان موضوعًا فوقه كراس صغير غلافه أسود، اقتربت منه وأمسكته، ثم عدت إلى السرير أتساءل ما يمكن أن يكون بداخله، هل هي مذكرات الفتاة؟ أظن أن هذا انتهاك للخصوصيات، لكن أنا الآن هي، إذا يمكنني قراءة محتواه.

فتحت الصفحة الأولى، كُتب في أعلاها: «مذكرتي».

لكن ما لفت انتباهي أكثر هو الكتابة التي أسفلها، وكان مكتوبًا:

«إياك لمسها وإلا ستلقين ما لم يخطر ببالك يومًا... إلا مذكرتي خط أحمر!»

هي تخاطب فتاة، وليس بشكل عام، إداً من تكون هذه الفتاة؟
هل هي المرأة التي بالأسفل؟ عليّ الآن التركيز ومعرفة
شخصية هذه الفتاة أكثر.

قلبت الصفحة وبدأت بقراءة محتواها:

**«السبت 12 نوفمبر 1865...»

اليوم تعرفت على شاب يُدعى كرم، لا أدري أهو كرم أو
كريم، كل ما أعرفه أنه كان شاباً وسيماً وأنيقاً، ولا أظنه
سيحب فتاة مثلي، أدري تماماً أن لا أحد يريد مصاحبتي، لقد
أخبرني ذلك الشاب أن أدون كل شيء يحدث لي، سواء أكان
سيئاً أم جيداً، لكن لا أظن أن هناك شيئاً جيداً حدث لي منذ
أن فتحت عيني في المستشفى...»**

توقفت عن القراءة.

ماذا؟! ما الذي يحدث؟

أعدت مراراً وتكراراً قراءة التاريخ.

!؟1865

يا إلهي!.. أظن أنه سيجن جنوني.

أغلقت الكراس ونهضت من على السرير، راجيةً الله أن أجد أي وسيلة تساعدني على معرفة التاريخ. بحثت في كل مكان ولم أجد أي شيء، بقي درج في المكتب لم أبحث بداخله، اتجهت مباشرةً نحوه، فتحتة وبدأت أقلب الأوراق هناك، كان صندوق صغير، قمت بفتحه فوجدت ساعة، لكنها ليست كساعاتنا، كانت مختلفة قليلاً، أكبر حجمًا، ومتصلة بقلادة كان لونها رماديًا، وكانت تشير إلى 12:00، وعندما نظرت إلى النافذة بدا الوقت كأن الساعة لا تزال 08:00، أيقنت أن الساعة معطلة.

قررت هذه المرة النزول إلى الأسفل والتحدث مع تلك المرأة، فتحت الخزانة، كانت مليئة بالفساتين، نصفها جميلة ونصفها بشعة لا تصلح حتى للارتداء. وجدت بينها فستانًا أرجوانيًا طويلًا بأكمام قصيرة، وزُين بالدانتيل في الرقبة ونهاية الفستان والأكمام، قمت بارتدائه، ثم توجهت نحو المرأة، نظمت هيئة شعري ومشطته، حيث قمت بصفه، وارتديت حذاءً أسود، ونزلت من الغرفة بحذر. كان هناك

رواق قصير به الغرفة التي كنت بداخلها وغرفة أخرى بدت وكأنها حمام، دخلت لأتفقده، قمت بغسل وجهي لأنشط أكثر، ثم نزلت من على الدرج الخشبي الذي كان ملتصقًا بالجدار، حاولت ألا أصدر صوتًا، سمعت صوت المرأة في غرفة المعيشة تحدث امرأة أخرى.

__ "حسنًا آنسة سلمى، سأحاول أن أجعلها مؤدبة أكثر... ولكن لنصل إلى نتيجة أفضل علينا باستعمال أسلوب أفضل."

__ "نعم آنسة سمر، سنحاول أن نبذل قصارى جهدنا لجعلها فتاة مثالية، يحلم كل شاب بالزواج منها."

بعد أن سمعت ذلك الحوار، قررت النزول إليهما، وما إن رأيت تلك المرأة حتى اشتعل غضبًا منها وخاطبتني:

__ "سحر، ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ألم أخبرك بالأمس أنني سأحضر لك فطورك إلى غرفتك، وأن لا تنزلي اليوم بأكمله!"

جاريته في حديثها وأنا أخطبها:

__ "حسنًا... حسنًا، مهما يكن. لقد اشتهمت رائحة الخبز والشاي واشتهيت أكلهما، فالطور الذي أحضرته كان سيئًا إلى حدٍّ ما ولم يعجبني."

ناظرتني بنظرات تهديد، ثم نطقت قائلةً:

__ "لا زلتِ تحتاجين إلى إعادة تربية، قليلة أدب من يومكِ، الفتيات بسنكِ قد تزوجن من رجال أثرياء ويملكون نفوذًا وقصورًا، وما فعلته أنتِ لحد الآن سوى التعرف على ذلك الصعلوك الفقير."

فرددت عليها بغضب، ولا أعلم لماذا:

__ "هذا ليس من شأنكِ، أتعرف على من أحب، في النهاية هو أحسن منك بألف مرة."

ثم توجهت إلى الباب الذي يأخذ إلى الخارج، خرجت من المنزل، كان الجو غائمًا وجميلًا في الوقت نفسه، لفت انتباهي المباني البسيطة والجميلة، عرفت أنني في حي

للفقراء لا أكثر، وفي لحظة انغماسي في مشاهدة الحي جاء صوت شاب من خلفي:

__ "هل لا زلتِ تتشاجرِين مع تلك المرأة الخرقاء؟"

عندما استدرت وجدت شابًا كان يبدو في أوائل العشرينيات من عمره، متكئًا على جدار البيت الذي خرجت منه، رافعًا قدمًا ومنزلاً الأخرى، كان يرتدي قميصًا رثًا بدون أكمام، وسروالًا طويلًا بقماش خفيف، وحذاء ممزقًا، كانت بشرته مائلة إلى السمرة، وجهه متسخ قليلًا، وملامحه جذابة، تشعر كأنه مزيج بين الحدة والقوة وبين اللطف والبراءة، وبينما كنت أتفحصه، التقت عيناى بعينيه الخضراوين، حيث كانتا متسعَتين تظهران اندهاشه، وشعره البني المبعثر يحكي عن قصة معاناته، نطق أخيرًا:

__ "هل تغيرتِ عنكِ أم ماذا؟ لِمَ هذا الاندهاش؟!"

أجبتُه وأنا أشعر بالخجل منه بسبب نظراتي:

__ "لا... لا شيء، فقط كنت أحاول معرفة من تكون."

ابتسم بسخرية ورد قائلاً، وهو يزيح بعض خصلات شعره
عن وجهه:

__ "هل أبدو وسيماً؟"

صمتُ؛ لأنني أدري أنني لو أضفت حرفاً سيشك في أمري،
لكنه أخبرني متمماً حديثه:

__ "علينا الذهاب الآن من هنا، أريد أن آخذك إلى مكان
جميل، وبالمناسبة تبدين أكثر أنثوية اليوم."

رددت عليه:

__ "وهل أعتبر هذا مدحاً أم مزاحاً؟"

__ "اعتبريه كما تريد، أعلم أنني سيئ في المدح."

أمسك بيدي وسرنا، عبرنا ذلك الشارع الفقير واتجهنا إلى شارع بدا للأغنياء، عربات تمر من هنا وهناك، رائحة الأكل والعطور تفوح من كل جهة، منازل عالية وقصور، اتجهنا إلى شارع ضيق، ثم خرجنا من جهة كانت مقابلة للغابة وبينهما جسر، عبرنا الجسر ودخلنا إلى الغابة، وفي لحظة لاحظت الأساور التي كان يرتديها في يده اليمنى التي كان يمسك بها يدي اليسرى، وكُتِبَ عليها: «كارلوس». تساءلت في نفسي: كيف؟! ألم يكن اسمه كرم أو كريم كما ذكرت هي!

نطقت الاسم بصوت أعلى، فتوقف عن المشي، التفت ناحيتي ونطق:

__ "ألم تخبريني من قبل بأنك لن تناديني بهذا الاسم أبدًا؟
أصررت على مناداتي «كرم»، فلم تناديني بهذا الاسم!"

__ "حسنًا، أنا آسفة يا سيد كرم، والآن أخبرني أين المكان الجميل الذي كنت تتحدث عنه، ومن الصباح ونحن نسير في غابة موحشة فقط."

رد عليّ مازحًا:

__"لوهلة ظننت أنه تم استبدالكِ عندما كنتِ نائمة."

اخترت الصمت، ولكن بدا على وجهي القلق.

أكملنا السير ما بين الأشجار إلى أن وصلنا إلى مكان قال إنه يُدعى قلب الغابة. كان المكان يتوسط الغابة تقريبًا بشكل دائري، وجذع شجرة كبيرة مقطوع وسط تلك الدائرة، شعرت أنني رأيت هذا المكان من قبل، نعم، إنه يشبه تلك القاعة الحجرية التي كنت فيها قبل وصولي إلى هنا.

حينما وصلنا إلى الجذع المقطوع، نظر إليّ بنظرات حماس، ثم نطق:

__"هل تعلمين يا سحر، أبي كان يحضرني إلى هنا عندما كنت صغيرًا، وكان يخبرني بأن للغابة قلبًا، إذا قُطع اكتأبت فماتت، ولكنني لم أصدقها، فهي تبقى مجرد خرافات، فما هو قلب الغابة قد قُطع ولا تزال كما هي، وأنتِ ما رأيكِ في قول أبي؟"

__ "أبوك صدق قوله، فأنت لا يمكنك أن تشعر بما شعرت به الغابة، ولن تستطيع فهم مشاعرها، فهي تعلم جيدًا كيف تخبئها أسفل التراب، وهذا حال الإنسان كذلك، أحيانًا يظهر ابتسامة لطيفة، بينما هناك نار مشتعلة وراء صدره."

رد عليّ بعد صمت طويل:

__ "أمم... وأصبحت حكيمة كذلك، هل شربت دواءً بالأمس لا يناسب سنك؟ في النهاية أنت تعرفين بأنني قليل الاستيعاب."

__ "حسنًا، وهل هذا المكان الجميل الذي أحضرتني من أمام منزلي لرؤيته؟"

__ "ما لك لا تصبرين؟!"

أكمل سيره، وبدأت باللاحاق به، مررنا بالكثير من الأشجار، كانت الغابة كثيفة، حتى وصلنا إلى مكان حقًا كان أشبه بالجنة، كان هناك نهر انتشر بجانبه الكثير من العشب والزهور بألوان جميلة، والفرشات تحلق من زهرة إلى أخرى، والغزلان التي لم أرَ مثلها في حياتي كانت تشرب من ماء النهر، حتى الماء كان صافيًا كالمرآة يعكس كل ما مر

فوقه، توقفت عن السير وأنا أتأمل المكان، قاطع لحظتي
الجميلة بصوته.

__ "إذًا، هل أعجبك المكان؟"

__ "نعم، جميل للغاية."

قال وهو يبتسم:

__ "طبعًا سيكون جميلًا لأنه من اختياري."

جلسنا بجانب النهر، حاولت المعرفة عنه أكثر، وشعرت
بالندم أكثر؛ لأنني لم أحضر دفتر مذكرات سحر لأعرف
عنها أكثر أو عن كرم كما هي تناديه.

__ "إذًا، قالت الأنسة سمر إنني قد تعرضت إلى ضربة خطيرة
على رأسي، مما أدى إلى فقداني لذاكرتي قليلًا، وأظن أنني
لا أتذكرك ولا حتى أتذكر نفسي!"

نظر إليّ بدهشة وقال:

_"آه، الآن فهمت سبب تغير طباعك معي، لكن الأمس كنا مع بعضنا البعض حتى منتصف الليل، هل أُصبت حينما كنت في منزلك؟"

_"نعم، أظن ذلك، أخبرتني أنني سقطت من على الدرج، ولم تستطع أخذي إلى المستشفى لأنها لا تملك نقودًا."

_"يا لها من امرأة بخيلة، كم أكرهها، لم لم تخبريني منذ الصباح؟ لكنك حاولت على الأقل إيجاد حل لهذه المشكلة."

_"أخبرتكَ أنني لا أتذكر شيئًا، حتى عن نفسي!"

_"حسنًا... أمم، أظن أنه عليّ أن أعرفك بنفسك أولاً، أنتِ تُدعين «سحر محمد»، أقبلتِ إلى بلدنا منذ أن كان عمرك ست سنوات مع والدتك «سارة» بعد وفاة والدكِ، وبعد سنتين توفيت والدتك في حادث حريق في مكان عملها، أي كان عمرك ثماني سنوات، تم نقلكِ إلى دار الأيتام، حيث كانت تعمل سمر هناك، وقالت بأنها ستهتم بكِ وتقوم بتربيتكِ كابنة

لها، وبدأت في الاعتناء بكِ إلى أن وصلتِ إلى عشر سنوات، بدأت تجبركِ على العمل بالخارج وبيع الملابس التي تخطيها إلى سيدات المدينة، في النهاية هي امرأة طماعه وبخيلة، كانت تضربكِ كلما لم تستمعي لحديثها وتتقيدي بأمرها، ومنذ أن وصلتِ إلى الثانية عشرة من عمركِ عادت للاعتناء بكِ؛ لأنها كانت تريد تزويجكِ من ابن رجل ثري، إلى أن أصبحت في الخامسة عشرة من عمركِ تعرفت عليكِ، حيث انتقلنا أنا ووالدي إلى منزل بجانب منزل سمر، حيث أنتِ تعيشين الآن، وتعرفنا على بعضنا وأصبحنا أصدقاء."

حزنت كثيرًا عند سماعي لمسيرة حياة هذه الفتاة المسكينة.

_"هذا محزن."

_"نعم، كثيرًا، لكن لا تقلقي، سينتهي هذا الجحيم قريبًا."

_"ماذا تقصد؟"

_"ستعرفين قريبًا."

__ "إذا أخبرني عن نفسك."

__ "حسنًا، أنا أدعى كارلوس مارتين، والآن عمري إحدى وعشرون سنة، شاب ككل الشبان الفقراء، أعمل كل يوم عملاً مختلفاً لأجلب قوت يومي وأساعد والدي على العلاج، فقد مرض منذ أن بلغت السابعة عشرة من عمري، أحب المغامرات والتغيير..."

ثم توقف عن الحديث، والتفت إليّ وأتم حديثه قائلاً:

__ "وأحبك أيضاً."

ثم أنزل رأسه، كان وجهي قد احمر خجلاً من حديثه، حاولت تغيير مجرى الحديث.

__ "أنت شاب مثابر وشجاع."

__ "شكراً لك يا سحر."

طلبت الاستئذان للعودة إلى المنزل.

عدنا إلى البيت، وفور دخولي وجدت رجلاً طويل القامة يرتدي نظارات طبية وبدلة عادية، لا يظهر أنه من أصحاب الطبقة الدنيا ولا العليا، كان يجلس على الأريكة، وبجانبه سمر كانت تبسم، قامت باستقبالي بابتسامة بدت مصطنعة، وأجلستني على الكرسي المقابل لهما، وبدأت بالحديث.

__ "هذه هي سحر يا سيد عمر."

ثم خاطبتني معرفةً لي به:

__ "وهذا هو عمك عمر يا سحر، هيا سلّمي عليه."

وقف الرجل من مكانه وأقبل إليّ واحتضنني، وبدأ يبتسم، لم أقم بأي ردة فعل، لكنه طلب من سمر أن تذهب وتتركنا نتحدث بمفردنا، وبعدما غادرت سمر، عاد عمر إلى مكانه وجلس، وبدأ بالحديث.

__ "أنا آسف جدًا عزيزتي، لم أستطع إيجادك، بحثت عنك في كل مكان في البلدة، وحتى عن تلك المرأة، ولم أجد أي أثر لكما."

بدا من صوته أنه منزعج وحزين، سألته:

__ "من تقصد بتلك المرأة؟!"

رفع رأسه ونظر إليّ وبدا غاضبًا.

__ "والدتك."

ثم أتم حديثه قائلاً:

__ "أدري أنك لا تعلمين شيئًا، ولم تخبركِ بأي شيء، وأنا الآن هنا لأرفع الستار عن الحقيقة التي خبأتها عنك تلك المرأة طوال هذه السنوات."

__ "عن أي حقيقة تتحدث؟"

__ "عما فعلته والدتك، هي من كانت السبب في مقتل والدك، هي من بدأت الحرب بين الإخوة، وهي من أشعلت النار بين العائلتين، لقد تسببت بمقتل أخي، فقد كانت تريد أن تشبع رغباتها فقط، ولم تكن تعلم أنها ستحمل بكِ إلا بعدما قرر أخي الزواج من ابنة عمنا، نعم، هي كانت السبب في نشر الحقد بين عائلتنا، وحاولت الانتقام من أخي عن طريق قتله، وفرت إلى هذه البلاد ومعها أنت، أعلم أن هذا يصعب عليك، لكنني قررت أن أكشف الحقيقة كاملة، أقبلت إلى هذه البلدة منذ سنوات أبحث عنكِ وعن والدتك، فقد اشتعلت نار الانتقام داخل عقلي وصدري، وعندما عرفت مكانها قررت قتلها والتخلص منها ومن جنونها، فأشعلت مكان عملها، فماتت، ولكن ضميري لم يرتح؛ لأنني لم أجذك."

__ "ماذا... ماذا قلت؟! هل قمت بقتل والدتي؟! هل كنت السبب في كل ما يحدث لي الآن؟!"

هذا ما استطعت قوله بعد حديثه السوداوي، بعد أن قام بتدمير حياة فتاة صغيرة وجعلها يتيمة الأم، هذا أسوأ ما يمكن للإنسان سماعه، اعتراف مجرم بجريمته.

أكمل حديثه والدموع تنهار من عينيه.

_"بحثت عنك في كل مكان، أردت فقط مقابلتك وإخبارك
بأنني آسف جدًا، آسف لأنني فعلت شيئًا لم يكن يجدر بي
فعله، أنا حقًا آسف، عليّ الآن أن أذهب وأسلم نفسي
للشرطة، وأعدك أنك لن تريني بعد اليوم." _

حمل نفسه وترك المنزل، وأنا لا أزال أفكر فيما قاله لي،
كيف يبحث عني ليريح ضميره؟ أين كان ضميره عندما قتل
أم هذه الفتاة المسكينة؟ وأين كان ضميره عندما فكر في أخيه
الميت بدلًا من أن يفكر في ابنته التي لا تزال على قيد الحياة
تواجه هذه الصعوبات وحدها تحت أيدي وحوش بشرية؟
أصلاً، كيف للإنسان أن يكون وحشًا؟ فهذا لا يعني فقدانًا
للضمير فقط، بل فقدانًا للقلب والمشاعر والعقل والإنسانية.

خرجت من تفكيري عندما سمعت صوت سمر وهي تحدثني.

_"لم أكن أعلم أن أختي تحمل في قلبها هذه الغيرة كلها، الآن
حبيبها قد تزوج غيرها قامت بقتله؟ لكنني أظن أنه يستحق
ذلك، فقد تركك ووالدتك وحدكما تواجهان هذه الحياة
العصيبة." _

__ "أختك؟!"

__ "نعم عزيزتي، أختي، وأنتِ تعلمين ذلك، لِمَ أنتِ مستغربة؟!"

__ "لا أعلم، أظنني سأفقد عقلي بعدما قاله."

__ "حسنًا، لا تقلقي، فكل شيء كان في الماضي، والآن عليكِ بتجهيز نفسك، فهناك عريس ينتظركِ."

لم أرد عليها، صعدت إلى غرفتي بصمت، والأسئلة في عقلي لا تتوقف عن طرح نفسها.

قمت بأخذ كل ما في خزانة سحر، وكراس مذكراتها، والساعة كذلك، لا أعلم لماذا، لكنني أخذتها، نزلت بحقيبتني، ورغم صراخ سمر عليّ ومحاولتها إيقافي، لم تستطع فعل شيء. وجدت كرم يقف قبالة المنزل، كان ينتظر خروجي، توجهت معه إلى منزله، قمت بالاستحمام هناك وغيرت

ملابسي، وجلست أروي له كل ما حدث قبل قليل، بدا الحزن على ملامحه.

__ "والآن إلى أين سوف تذهبين؟"

__ "إلى مكان هادئ بعيداً عن الضوضاء."

__ "حسنًا، للأسف لا يمكنني الذهاب معك؛ لأن والدي مريض."

__ "لا بأس، سأكون بخير."

وبعد أن أنهيت حديثي، كانت رائحة الحريق تملأ المكان، توجهنا إلى غرفة المعيشة، وكانت سمر تقف بالخارج وتبتسم، لم أفهم ما كانت تفعله، لكن ابتسامتها كانت مخيفة ومرعبة، كان كل جزء في غرفة المعيشة قد احترق، اخترق صوتها النار والدخان.

__ "مثلما ماتت الأم، ستموت ابنتها، ومثلما أحببت أباك، أحببت عمك، لن أتركه يدخل السجن بسبب تلك المعتوثة، والدتك."

وبدأت تضحك بطريقة هستيرية، حاولنا أنا وكرم الصعود إلى الأعلى، لكن المنزل كان قد اشتعل من تلك الجهة أيضاً، بقينا محاصرين في ذلك المكان، قام كرم باحتضاني بعدما عرفنا أنه لا سبيل للنجاة من النار، بدأ الدخان يغطي رؤيتي، وشيئاً فشيئاً أحسست به في صدري، شعرت بالاختناق وأغضت عيني.

فتحت عيني في مكان آخر، مكان لم يكن يبدو كحجرة أو غرفة في البيت، كان كالمستشفى، أسمع صوت الطبيب والممرضات، حاولت النهوض من مكاني ولم أستطع، سمعت صوت الممرضة من جانبي وهي تناديني للطبيب.

__ "لقد استيقظت!"

__ "حسنًا، أنا قادم."

أقبل الطبيب وبدأ بفحصي.

__ "هل أنتِ بخير يا آنسة نور؟"

__ "نور؟!..!"

__ "أليس هذا اسمكِ يا آنسة؟"

__ "نعم، إنه اسمي."

شعرت بسعادة تغمرني، نعم، لقد عدت إلى عالمي، أنا نور
ولست سحر.

__ "ماذا حدث لي؟"

__ "لقد كنتِ داخل غيبوبة لمدة ثلاثة أسابيع."

__ "غيبوبة؟ ثلاثة أسابيع؟! وما الذي جرى لي؟"

__ "نحن لا ندري بالضبط، لكنهم وجدوك في الغابة مغمى عليك."

__ "حسنًا، شكرًا لك."

__ "العفو يا آنسة، وإن احتجتِ إلى أي شيء فالمرضة سحر ستكون إلى جانبك."

__ "المرضة سحر؟ حسنًا، شكرًا."

عندما نظرت بجانبني وجدت تلك الساعة الرمادية نفسها التي كانت بغرفة سحر، أمسكتها بين يدي أتأملها، وبينما أنا منشغلة معها، أقبلت الممرضة سحر إلى جانبي، كانت ترتدي ملابس الممرضات وتضع كمادة على وجهها، وبدا في نصف وجهها آثار للحروق، لكن مهلاً!... شعرها أسود طويل يتخلله اللون الوردي القاتم، وعيناها العسليتان الواسعتان بالرموش الكثيفة، ووجهها المستدير، وبشرتها البيضاء! نعم، كانت هي، سحر هي

نفسها، وحتى دون أن أشعر، أغمي عليّ مرة أخرى.

الكاتبة نور

الفصل السادس

باب المقايضة



آيبروس...عهد الدم

وقفت في تلك القاعة الحجرية، كانت جدرانها تقف بصمت قاتل،
ترتكز على الطوب الصلب، يخنقها الغبار وصوت الصرخات
المكتومة.

ارتعش جسدي وأنا أراقب خط الدم ينساب من ركن ضيق، ليصل
إلى الأرضية الملساء.

كان جسدي موجَّهًا نحو أحد الأبواب كأنه اختاره طوعًا، الاسم من
ثلاث حروف "ندى" يومض فوقه بلا استسلام كأنه يسحبني إليه
قسرًا. نقشت على الباب رسمة كَفَّين يقابل أحدهما الآخر وفوقه
رسم قلب بعناية.

صدى صوت في المكان، أشبه بصرخة غاضبة، انتشر بعدها
غبار خائق في الغرفة.

ظهر خط وسط الباب، ثم بدأ نصفاه يودعان بعضهما، ليكشفا عن
مدينة خلفها، لم أتمعن فيها كثيرًا، ابتلعت ريقي وعدت خطوة إلى
الوراء.

انزلقت دمعة على خدي، لم تكن خوفًا، بل أشبه بمن اتَّهم ظلمًا.

تجمد جسدي، راقبت الباب وهو يغلق ببطء، حاولت
العبور لكن جسدي لم يسمح لي حينها.

سمعت صوتًا من خلفي، كفحيح أفعى سامة: "إما أن
تدخلي، أو تسجني هنا للأبد".

وجهت نظري حولي بسرعة، كان المكان فارغًا.
لم أضيّع دقيقة أخرى في الانتظار، فالنهاية ستكون
واحدة على أي حال.
خطوت عبره، شعرت كأنني أغوص داخل بئر عميقة،
انقطعت أنفاسي للحظات.

فتحت عيني على الرمال الحارة أسفل قدمي، حجبت
أشعة الشمس بيدي ثم تقدمت نحو السوق التي كانت
تبدو من بعيد.

كانت الحرارة تطرق على عظامي حتى كدت أسقط،
شعرت بمطارق حديدية تدق رأسي بانتظام، لكنني
واصلت سيري.

وقفت قليلًا، ضيقت عيني، كانت المدينة تبتعد أكثر من
كونها تقترب... هل هو مجرد سراب يرسمه عقلي من
التعب؟

استدرت للخلف، نظرت أمامي، كانت نفس الصورة في
كل الاتجاهات... لا شك أنني أهلوس.

سمعت صوتًا على يميني، أشبه بزئير للرياح.

التفت. شعرت ببرودة رغم الحرارة القاتلة. كانت
عجوزًا يختبئ جسدها تحت عباءة طويلة تعتليه قلنسوة
تغطي رأسها.

نطقت بصوت خافت: "من أنت؟"

دق قلبي، استجمعت أنفاسي: "ن.. ندى.."

قاطعت ابتسامتها كلماتي، ظهرت معها أسنانها التي لم
تبدُ بشرية بل لوحش ضارٍ، كانت أنيابًا مصفوفة بجانب
بعضها، أحسست للحظة أنها مستعدة للانقضاض عليّ.

نطقت بعدها: "الزائرة الجديدة إذن، كنت أنتظرك!"

_ "تنتظريني... أنا"

قوّست عينيها وهي تهز رأسها إيجابًا.

تابعت كلامها بصوت استفزني: "لن تصلي، أنت في
بُعد آخر"، ثم شدّت على كلماتها: "وأنا مالكته".

شلّ لساني، رغم الأسئلة التي تراحمت عليّ.

نطقت وهي تدور حولي كأفعى تترصد فريستها:
"تودين الخروج، لكن هناك ثمن".

هزرت رأسي باستفهام، فرفعت يدها التي انكشفت من
تحت رداؤها، كان جلدها المتكمش أشبه بحر اشف، أو
جلد مسخ، لها مخالب حادة كسيوف مسنونة.

مرّرت يدها على شعري الطويل، وأنا أبتلع ريقى،
تكلمت بصوت مبجوح: "بعض من شعرك الجميل".
وجدت نفسي أبعد يدها بقوة، حملت فيها، ثم أجفلت
عندما نظرت إلى عينيها.
حرّكت عصاها الثقيلة وهي تبتعد: "كما تشاءين، ابقى
هنا".

نظرت من جديد إلى المدينة التي لا يمكنني الوصول
إليها. ناديتها، التفت إليّ ثم عادت تطبع خطواتها على
رمال الصحراء التي كانت سرعان ما تمحوها الرياح.
صرخت: "سأزعجك إن بقيت، دعيني أذهب".
رفعت كفها غير مبالية: "كما تريدن، سيكون كدبيب
نملة، أو يمكن أن أقتلك". نطقت كلمتها الأخيرة ببطء
كأنها تتعمد أن تذيّقني من كأسها خوفًا.
_ "خذي منه إذن".

اختفت من مكانها، ظهرت أمامي فجأة. ابتسمت كمن
نال صيدًا وفيرًا، قرّبت يدها مني، لكنني تشبّثت به:
"ستأخذين القليل".

أومأت، ثم قرّبت يدها من رأسي، وفي لحظة رأيت
خصلاتي بين أصابعها، كقتيل معلق على حبل مشنقة.
تحسست شعري، كان يصل إلى أكتافي... شعرت كأنني
فقدت جزءًا من روحي.

نظرت إليها، كشفت عن رأسها، كان أصلع، انعكس عليه ضوء الشمس، قرّبت خصلات شعري منه، وقبل أن أرمش التصقت برأسها.

وقفت أراقبها، لم أصرخ، لم أتساءل، نظرت إليها فقط قبل أن تغرس عصاها في الرمال، بينما وضعت الكف الأخرى على عيني.

شعرت بنسمات خفيفة تتسلل تحت فستاني، فتحت عيني... كانت السوق التي رأيتها من بعيد أمام عيني الآن، لم تكن سرابًا، استنشقت رائحة غريبة، أشبه برائحة الخضار الطازجة تختلط مع رائحة الصدا.

أصوات تحاصرني من كل جهة، بعضهم يغري المارة بما عنده، وبعضهم يصرخ كأبكم بكلمات غير مفهومة.

جرتني قدمي نحو أحد الطاولات التي انعزلت وحدها في زاوية من زوايا السوق، وضعت عليها فاكهة تشبه البرتقال، لكنها كانت بلون أسود يميل إلى الرمادي.

رفعت نظري إلى صاحبها، كان له شعر كستنائي، وعيون مختلفة إحداها خضراء، والأخرى حمراء. حرّك يده ليرتب بضاعته، رأيتها لوهلة، كانت مغطاة بوبر كثير، ومخالب قصيرة، أما اليد الأخرى فكانت عادية.

نظر إليّ بعدما أطلت مراقبته، نقل نظره من قدمي إلى آخر شعرة في رأسي.

__ "الزائرة؟"

شعرت بانقباضة في صدري، كان صوته بين الحاد والمختنق، ربما كان هذا أقرب وصف لما سمعته.

عدت خطوة إلى الوراء، لم أستطع الهرب، حرّكت رأسي بإيماءة خفيفة فقط، لم أكن أفهم ما يلقبونني به، لكنني سمعته من الساحرة وقد كان هذا كافيًا ليؤكد لي.

ابتسم ابتسامة عريضة، ظهرت معها أسنانه، نصفها عادية والنصف الآخر أنياب طويلة: "لدي فاكهة اليوسل السوداء، هل تودين بعضًا منها؟"

لم أسمع ما سمّي به الفاكهة للتو، كنت مركزة مع أنيابه فقط قبل أن أسأل دون وعي: "هل أنتم مصاصو دماء، أم مستذئبون؟"

نظر إليّ مطولًا، ثم ضحك وهو يشهق: "هل... تصدقين هذه القصص... حقًا؟"

ثم عادت ملامحه إلى الجدية والمكر: "هيا... أأست جائعة، مقابل يد فقط أو ربما... صمت قليلًا وهو يحك ذقنه: "أو ربما بعضًا من أسنانك الجميلة".

نظرت إليه، بحثًا عن ضحكة، أو سخرية بين أنيابه، لكن لم يكن هناك شيء سوى لهفة معلقة في نظراته. هزرت رأسي، قبل أن يصرخ: "وصلت الزائرة".

رأيتهم يتهافتون إليّ، كدمية عليهم اقتناؤها، لم أفهم ما يجري حولي، سمعت أصواتهم مشوشة:

__ "لدي حرير سيدفئك الشتاء قريبًا".

__ "بعض من دمك سيكون كافيًا لأعطيك ما يكفي من الطعام حتى تخرجي من هنا".

__ "أريد عينيها".

تباطأت أنفاسي. شعرت بدوار حاد، كأن الأرض نفسها تسحبني. تماسكت، لم أكن أود أن أستيقظ في غرفة مظلمة وقد فقدت أطرافي.

زاد ضغط الهواء من حولي فجأة... شعرت أنني سقطت من حافة برج كبير. نظرت إلى الأسفل، كانت الأرض تبتعد. رفعت رأسي إلى الأعلى، كل ما استطعت لمحّه جناحان يحجبان السماء عن رؤيتي، ومخالب تحكم شد كتفي. أيقنت عندها أنني راحلة إلى مصيري المحتوم، لكنني شعرت براحة غريبة.

نزل بي المخلوق على أحد التلال الوردية، ظننتها أزهارًا من بعيد لكنها كانت عشبًا.

تحررت أخيرًا، شعرت بارتجاج عظامي وأنا أسقط على الأرض، ثم نزل المخلوق أمامي.

أنثى يافعة، بشعر أبيض و عيون بنفسجية نقية، كان جسدها مغطى بريش أزرق ببقع رمادية داكنة، ويضم جسدها جناحان فرشت نهايتهما فوق العشب الوردي. لم أنطق بشيء، لم أهرب، وقفت أتمعن في شكلها فقط. نطقت بصوت رقيق: "بشعة أعلم... ومختلفة عنهم أيضاً".

نطقت دون النظر في عينيها: "بل مميزة!" عقدت حاجبيها: "لم أطلب مجاملة مقابل إنقاذي لك... إن كنت تودين دفع الثمن فربما سأختار شيئاً أكثر اهتماماً".

اغتنطت من كلماتها الأخيرة، ركزت في عينيها ثم قلت بنبرة ثابتة: "لا أفهم لم تهتمون بأجزائي!"

ابتسمت وهي تسير مبتعدة: "تقصدين لم يهتمون... لن أطلب عينيك لا تقلقي، لكن عليك أن تعلمي أنك دخلت باب المقايضة.. لا شيء هنا مجاني أيتها الزائرة..."

كررت تلك الكلمة على لساني «الزائرة» ثم كلمت نفسي بصوت مسموع وأنا أنظر إلى الأرض: "ما هذا اللقب؟ لم هو مهم لديهم؟"

استدارت قليلاً: "سأجيبك لكنه آخر معروف... قبل قرون، كان الكل كما ترينني، إما فرو أو ريش... بشع كما يسمونه الآن. لم يكن حينها الأمير راضياً عن شكله

حتى أنه حاول الانتحار في إحدى المرات، عندها
قايض الملك للحصول على بشري من البوابة من أجل
أميره الصغير... أخذ الأمير أطرافه، وجهه. عندها
انقلب السكان عليه، صار الكل يطالب بتغيير شكله، لا
أعلم ماذا فعل ذاك الملك اللئيم حينها لتصبح البوابة تلقي
إلينا ببشري كل سنة نسميه زائراً".

لم أملك القدرة على تحريك أطرافي حينها، جلست على
العشب، استشعرت رطوبته بيدي.

ابتسمت المرأة بطرف شفتها: "لا تقلقي.. كانت لديه
بعض الرحمة حينها، فرض عدم التعرض لكم بسوء،
إلا إن وافقتم على المقايضة... أنت بأمان".

زفرت. كانت كلماتها كحبل نجاة لي. ثم أكملت
بابتسامة: "لكنك ستضطرين لذلك في مرحلة قبل
وصولك للبوابة... ستقايضين بنفسك..."

نظرت إليها بثقة رغم ضيق صدري، ابتسمت لي: "لا
تنظري إليّ هكذا، أخبرك بما تحتاجينه فقط أيتها
الزائرة، أم تفضلين أن أناذك ندى؟"

أومأت بامتنان، قبل أن تحرك جناحيها، أرغمتني
الرياح التي أحدثتها على الابتعاد خطوات إلى الوراء،
ثم صرخت: "لم تخبريني بما عليّ أن أناذك، أم عليّ
أن أكتفي بالتمردة؟"

سمعت صوتها يهمس في أذني: "الكيرا".

شهقت في مكاني، قربت يدي من أذني ببطء، نظرت إليها من بعيد: "لم أكن أتخيل، كان صوتها فعلاً... ربما هناك الكثير في هذا العالم الغريب".

تحت سقف شُيِّد منذ مئات السنين، ليشهد أسراراً وعجائب لم يحفظها الزمن.. في قصر آيربوس، دخلت الكيرا بوجه جامد، أكتاف مرفوعة، وخطوات بإيقاع عميق.

وقفت أمام رجل يجلس على كرسي ملكي مصنوع من الجلد الأسود، طُرّزت عليه أزهار بيضاء كأنها تحاول محو ظلامه في محاولة باءت بالفشل.

أحنت الكيرا رأسها ببطء دون أن تحرك جسدها، تتحننت قليلاً ثم نطقت بثبات: "عبرت البشرية الباب سيدي الحاكم".

ابتسم الملك بطرف شفته: "ماذا لديها؟"

__ "اسمها ندى... فتاة بشعر بني غامق يميل إلى السواد، عيون مميزة بين الأخضر والبني، بشرتها بيضاء، وابتسامتها... ابتسامتها وحدها مقايضة، لها غمزة صغيرة في خدها الأيسر... تذكرني بـ"

ثم توقفت كأنها استفاقت للتو، انتظرت ردة الملك، والذي ابتسم: "الكيرا.. عند حسن ظني بك دائماً... استدرجيتها".

لم تتحرك ملامح الكيرا، أو مأت له بعينيها فقط.
قبل أن ترفع يديها المكسوتين بالريش الأزرق في
السماء، وتغمض عينيها، ثم تدير يديها بحركة ثابتة
كأنها تحاول خلق دوامة. فرّقت أصابع يديها بسرعة، ثم
فتحت عينيها ببطء، نظرت إلى الملك: "انتهى عملي،
سترى القلعة بعد لحظات".
ثم ضمت جناحيها وغادرت في صمت وسط أنظار
الجميع.

ندى...

جلست أتمعن في زرقاء السماء، لم تكن مثل عالمي،
شعرت أن بها شيئاً مميزاً، صفاء لم أراه من قبل،
وتدرجاً هادئاً للأزرق يريح النفس، كانت الشيء الوحيد
الذي يعطي دون مقابل... أو ربما الكيرا أيضاً.

اقتربت مني قطة صغيرة، بفرو رمادي به بقع زرقاء
داكنة، استقرت في حضني، كانت تنظر إليّ ثم تميل
رأسها كمن يحاول معرفة شخص ما.

مسحت على ظهرها: "ألم يغبروك أنت أيضاً؟"

بدأت القطة بالمواء بصوت خافت، ثم ارتفع الصوت
وهي تموء دون أن تتنهد حتى، ارتفع الصوت أكثر

تدرّيجيًا حتى صار مزعجًا. أبعدتها عني بعنف، كشرت
عن أنيابها لكنها واصلت كأنه نداء ما. وضعت يدي
على أذني، وأنا أشعر بطنين حاد داخلهما.

نظرت القطة إلى عيني مباشرة، شعرت بقلبي ينفصل
من مكانه ببطء، أوردته تتمزق، ضاق نفسي وأنا أنظر
إلى زرقة عينيها تتحول للبنفسجي الفاتح.

استرجعت أنفاسي أخيرًا بعدما توقفت، عندما تحول لون
عينيها إلى البنفسجي النقي، كأنها عيون أعرفها وحتى
الفرو، لكنني لم أستطع التفكير لحظتها.

راقبت القطة وهي تمر بجواري ثم تتجاوزني، استدرت
إليها، لأجد قلعة ضخمة تحجب أشعة الشمس. ضاعت
القطة عن ناظري وأنا أنظر إلى تفاصيل القلعة، لم تكن
من النوع الفخم ولا المريح، جدران رمادية، وقبة علوية
سوداء....

لم تكن هنا قبل لحظات! لم أكن لأتجاهل قلعة كهذه،
كأنها تفرض على الجميع طاقة غريبة.

لكن حتى كلمة غريب، لم تعد غريبة بعد كل شيء.

عادت القطة للظهور من جديد، كأنها تجبرني على
الانصياع لصوتها المخيف.... تستدرجني ببطء.

بدأت بالمواء، لكن بصوت غليظ هذه المرة، شعرت أن
قداي تُسحبان، استسلمت لهما... لا أنكر أن جزءًا مني
كان يود استكشاف المجهول.

لم أشعر بالعالم من حولي، حتى وجدت نفسي أقف فجأة
على أعتاب القلعة.

تجمدت للحظة، وأنا أنظر إلى القطة تقفز إلى حضن
تلك المرأة... الكيرا.

صرخت فيها: "الكيرا احذري إنها.."

صمت وأنا أنظر إليهما، العيون البنفسجية، الفرو
الرمادي... كانت هي من أرسلها... تستدرجني.

ابتسمت الكيرا بلطف: "نلتقي من جديد".

نظرت إليها بعيون جادة: "لا أظن لقاءنا هذا صدفة".

حرّكت رأسها وأمالت شفّتيها: "تقريبًا..."

شعرت بدوار غريب، سقطت على الأرض، وأنا أنظر
إلى صورتها وهي تربت على ظهر قطتها تتلاشى
تدريجياً.. ثم غبت عن العالم.

استيقظت على صوت دندنة خافتة، لم تكن هناك أشعة
شمس تضيء الغرفة، ولا رائحة الهواء النقي.

بل مصباح يحتضر، ورائحة خانقة تضغط على نفسي.

سمعت صوت دندنة من الخارج، يقترب أكثر فأكثر مع
كل شهقة، فُتح الباب...

دخلت مجموعة من الرجال، بأجزاء بشرية وأخرى وحشية، وجوه نصفها جلد والنصف الآخر حراشف خشنة، كان منظرهم مثيراً للاشمئزاز أكثر من كونه مخيفاً، يرتدون بذلات رسمية، قميصاً، وبنطالاً أسود وربطة حمراء. وقفوا أمامي في صف مستقيم.

تلاهم النساء، يخفين قبحهن خلف وجوه فتيات حسناوات، بشرة نظيفة، وشعر قصير بالكاد يصل إلى نحورهن، وقفن على بعد خطوات من الرجال، كأنهن دمي تؤدي عرضها بإتقان.

دخلت بعدهم الكيرا، بخطى بطيئة، تجر أجنحتها خلفها كفستان زفاف فاخر، تشد شعرها الأبيض للخلف، كأنها تتعمد إبراز لمعان عيونها الكريستالية.

وقفت بينهم... أمامي، نفس النظرة الخاوية، نفس الهيبة التي يفرضها مظهرها المتفرد.

نطقت بصوت هامس: "أهلاً بك.. أيتها الزائرة".

نطقت وأنا أتمعن في عينيها: "كلكم سواء... وحوش.
كان عليّ أن أعلم أنك لم تنقذيني رحمة منك".

_"أهكذا تردين الجميل؟ كان عليّ أن أتركك ملقاة
بينهم، بدل أن أعتني بك وأحضركِ إلى القصر".

مددت ذراعيّ حولي وأنا أشير للغرفة: "القصر؟
وتلقونني في العلية".

ضحكت ألكيرا، ضمت يديها حول صدرها: "العلية؟
هذه أفضل غرفة في القصر". ثم أشارت: "حتى إنها
مجاورة لغرفة الملك".

أعدت النظر إلى الغرفة، أتأكد من كلماتها، حتى نطقت
بصرامة لتنتشلني من تفكيري: "ستقابلين الملك... هو
باننتظارك لتحضري نفسك، لا تتأخري".

نقلت نظري على ملابسي: "إنها مناسبة... سأقابله
الآن".

ابتسمت ساخرة، ثم حركت سبابتها مشيرة لأحد الواقفين هناك، ليتقدم وهو يحمل قطع قماش بيده: "سترّتين هذه".

سحبت القطعة من يده، كان فستانًا طويلًا، باللون العسلي الباهت، حوافه السفلية منكشة، وأكمام مطرزة تنتهي بشريط أبيض. كانت تعتليه ياقة بيضاء خفيفة، ويشده حزام عند الخصر: "هذا ما سترّدينه".

عاينت الفستان بنظرة سريعة، لم يكن من النوع الفخم، لكنه يفي بالغرض قليلًا.

استلمته من يدها، جلست على السرير: "ماذا تنتظرون؟ هل ستجهزونني أيضًا؟"

الكيرا: "ولماذا تظنينني أحضرتهم؟"

واجهتها منتفضة: "لا أحتاج ذلك، سأعتني بنفسي".

لم تهتم لكلماتي، نقلت نظرها بين الخدم أمرة: "لا تتأخروا".

أحنى الجميع رؤوسهم، قبل أن تغادر دون أن تسمع
تذمري ومعارضتي.

رأيت أياديهم تمتد حولي، أجلسوني على كرسي خشبي،
ثم قاموا بشد شعري، وفوج آخر يطلي وجهي بمساحيق
لم أستطع تمييز رائحتها حتى، ثم مروا حجرًا أسود
بحافة حادة على جانبي عيني.

ألبسوني الفستان وأحكموا شد حزامه على خاصرتي،
حتى أحسست أن الهواء لن يجد طريقًا للمرور، ثم
سحبوا الخيوط في منطقة الأكتاف حتى استقام ظهري.

بالكاد حركت جسدي إلى المرأة المعلقة على الحائط،
نظرت إلى شكلي... كان يفي بالغرض إلى حد ما.
شعري يشبه تسريحات العصر الفيكتوري، مشدود إلى
الأعلى، انزلقت منه بعض الخصلات الصغيرة.

سمعت باب الغرفة يفتح بسرعة، ثم اقتحمت الكيرا الغرفة، سحبتي من معصمي دون أن تنبس، ثم جرتني إلى الخارج.

توقفت عند أحد الأعمدة، فركت معصمي، ثم عقدت حاجبي وأنا أنظر إليها، نطقت دون أن تنتظر إليّ: "ستقابلين الملك أرجو أن تلتزمي الصمت". ثم وضعت خنصرها على صدري، حتى شعرت أنه سيغرز داخله: "لا تجبريني على شيء من فضلك". ثم اتجهت إلى الدرج.

وقفت على حافته، تنهدت قليلاً، ثم لحقت بها.

وقفت عند بوابة كبيرة، أشبه بالبوابة التي دخلت منها إلى هذا العالم لكنها أصغر بقليل، نقش أعلاها كلمة «أيروس» زينت بزخارف رقيقة.

تحرك الباب...

سمع صوت يشبه احتكاك الحجارة. فتح ببطء وهو يصدر صريراً.

انكشفت من خلفه قاعة واسعة، صُفّت على جدرانها شموع تضحي بقطراتها الأخيرة. فُرش على أرضيتها

بساط أحمر بحواف ذهبية يمتد ليصل إلى عرش يجلس عليه رجل يبدو في الخمسينات، لم يبدُ هجينًا أو وحشًا مثل البقية، كان بشريًا، يضع تاجًا تميزه أحجار سوداء. على جانبيه في أركان الغرفة، وقفت التماثيل الحجرية تراقب المشهد في صمت.

أشار الملك بأصابعه، لأتقدم دون وعي مني، بينما بقيت الكيرا عند مدخل الغرفة مستندة على الحائط.

امتثلت أمامه، حركت رأسي محيية إياه، بينما شددت طرفي فستاني بحواف أصابعي.

ظهرت ابتسامة الملك من خلف لحيته: "الزائرة الجديدة... نرحب بك في أرضنا وقصري هذا".

_"يسرني التواجد بينكم سيدي".

نطق الملك: "ندى.. ربما حدث سوء فهم لإحضارك بهذه الطريقة، ليست إلا لحمايتك وإيصالك إلى بوابة الخروج.. إن كنت تودين ذلك طبعًا".

ابتسمت بريية وأنا أتذكر حديث الكيرا – لا شيء دون
مقابل – ثم أجبته: "أشكرك، لكن لا يمكنني".

عقد الملك حاجبيه باستفهام، فتابعت: "أقصد أنني لن
أستطيع دفع شيء لك مقابل كرمك معي".

ضحك وهو يرفع رأسه ثم نظر إليّ: "تدفعين؟ للملك؟
كل شيء من أجلك لن تدفعي شيئاً".

شعرت بالراحة رغم رييتي التي لم تهدأ، ابتسمت له
قبل أن يسمح لي بالانصراف.

رافقتي الكيرا إلى غرفتي، ثم انصرفت وهي تشد
وجهها.

استيقظت في اليوم التالي... لم تكن الرائحة خانقة
كعادتها، بل رائحة المرق تعذب معدتي ببطء.
عجيب، لم أشعر بالجوع ليوم حتى اشتهمت رائحة
الطعام.

لم أفكر في الأمر كثيرًا، قفزت من فراشي، اغتسلت
بالماء البارد، غيرت ملابسني ثم جلست على الكرسي
الوحيد المختبئ بجوار المائدة.

صحن من الحساء، لحم مشوي لم يكن من اللحوم التي
آلفها، بجواره وضعت سلة فواكه... تفاح وعنب وأخرى
لم أميزها.

استسغت الطعام على مهل، كان لذيذًا إلى حد ما،
وبعضها لم يكن لها مذاق حتى.

طرق الباب ثلاث طرقات خفيفة، أعقبها صوت من
الخارج:

"أيتها الأنسة، رتب لك الملك لقاء مع امرأة سترشدك
لباب الخروج".

فتحت الباب بسرعة، كان الخادم يقف هناك، ينظر إلي
دون تعابير.

سار أمامي خطوات قليلة ثم أشار إلي بأن أتبعه، سرنا معًا بين جدران القصر، لم يكن المكان الذي اصطحبتني إليه ألكيرا أمس.

عبرنا ممراً ضيقاً كان ينتظر في نهايته باب صغير. وقف الخادم أمامه وقبل أن يطرق، فتح الباب... مصدراً صريراً ارتد بين جدران الممر.

كان الملك يجلس أمام الباب، يرخي جسده فوق أريكة فرشت بالحرير الناعم. بجانبه جلست امرأة لم يظهر إلا جزء من شعرها البني.

أغلق الباب بعد دخولنا، نقلت نظري من الملك ثم إليها... كانت الساحرة التي قايضت على شعري.

رمقتها بنظرة سريعة، ألقيت التحية ثم جلست في طرف الغرفة.

تتحنح الملك بصوت عميق، ثم نظر إلى الساحرة قبل أن تنطق:

"أظننا التقينا مجددًا أيتها الزائرة".

تجمدت ملامحي لتبتسم وتحرك خصلات شعرها:
"أظنك أنت من قايضني عليه، لا ترمقيني بنظراتك
الحادة".

ابتسمت بتكلف لتكمل هي:
"للوصول إلى البوابة عليك تجاوز بُعدي أولاً، وبعدها
بضع قطرات من دمك ستفي بالغرض لتجاوز البوابة
والعودة إلى عالمك".

تساءلت:
"وكيف سأصل إلى بُعدك؟"

ابتسمت بطرف شفتها:
"الكيرا ستوصلك... لكن عليك البقاء هنا أسبوعًا حتى
تستطيع الطيران بك إلى هناك".

صمت قليلاً:

"لكن لا يمكنني البقاء... علي العودة".

رد الملك معاتبًا:

"أنت في ضيافتنا... ليس لك حل آخر".

لم يسمح لي الخادم بإطالة الكلام، استأذن ليصحبني إلى بهو القصر.

كانت ألكيرا تجلس هناك، تضم ركبتها وتحشر وجهها بينهما. كان أمامها حجر كبير كتبت عليه حروف بلغة لم أفهمها.

جلست بجانبها، لم أنطق، لكن رغم كل ما يشعرني بالريبة في هذا العالم إلا أنني كنت أرتاح عند اقترابي منها، هدوء غريب يفرض على كياني، مثل أول لقاء بيننا... ربما لأنها كانت الشخص الوحيد الصادق من بين الجميع.

مسحت على ظهرها، استقامت بفرع، ثم هدأت ملامحها عندما رأته... عيون بريئة لم تكن مثل التي رأيتها...

تلك الصلابة كلها اختفت... أرى فقط فتاة مكسورة لم
تسعفها الحياة.

نطقت قبل أن أنبس دون أن تحرك عينيها عن الحجر
أمامها:

"تحدثت إلى الساحرة؟"

حركت رأسي إيجاباً ثم سألتها:

"ألكيرا... قلت إن لكل شيء مقابلاً في عالمكم... لماذا

يساعدونني دون مقابل؟"

أطالت نظرة شفقة من بين عينيها:

"ما الذي يؤكد لك أنهم يساعدونك دون مقابل؟"

صمتت قليلاً ثم نطقت بصوت خافت:

"أتعلمين ما اسم مملكتنا؟ إنه آيبروس وتعني

المقايضة... كل نفس تسحبينه إلى رئتيك له ثمن".

ثم همست:

"وقد يسلب منك دون مقابل حتى".

استغربت من كلماتها... كرهها الذي يخرج معها.

هرب السؤال من بين شفتي:

"لم أنت مختلفة؟ لم لم تختاري أن تغيري نفسك؟ أهو
رضا أم ثقة؟"

ابتسمت بسخرية:

"أكرههم... أكره ما يفعلونه... وحوش تمامًا كما
وصفتهم يا ندى".

أدّرت وجهي متجاهلة عندما رأيت دمعة تهرب من
عينها، ثم تابعت مجيبة عن سؤالي الذي لم أبح به:

"تتساءلين لم أكرههم، صحيح؟"

تابعت بعد هنيهة:

"لأن أُمي هي من كان الثمن الرخيص، ثمن ما يفعلونه الآن... تذكرين؟ أول بشري قايض الملك للحصول عليه، كانت أُمي... فقط لأنها كانت مختلفة مثلي".

قفزت من مكاني:

"أمك زائرة؟ بشرية؟ كيف؟"

"_ أجل، زائرة، وتزوجت أيضًا... شابًا من أرضنا، أنجبتني... هجينة، هكذا كان الجميع يناديني.

كبرت قليلًا ليسحبوها مني... فداءً للملك الذي تريه الآن... فقط لأنه أحبها".

ضغطت على قبضتها:

"حب عفن... دفعت هي ثمنه... امتلاكها، هذا ما كان يريد، أخذ أطرافها وربما تحت التراب".

__ "ووالدك؟"

ابتسمت وهي تتذكره:

"علقوه في ساحة المدينة بحجة أنه خائن... حتى أنا لم يكونوا ليبقوا علي إلا من أجل مصلحتهم... الهجينة رفيقة الملك... ذات القدرات العجيبة".

غرست مخالبتها في التراب:

"ظنوا أن احترام الزائرين القادمين سيكون إطفاءً لشعلة قهري... تكريمًا لوالدتي... سحقًا لهم... هم لا يسقونني إلا حقًا".

هربت الكلمات مني، أتخيل طفولتها... بشاعة ما قام به
الملك... وما قد يفعله بي أيضًا.

نطقت بصوت خافت:

"علي أن أهرب!"

__ "لن تستطيعي، حتى إن هربت من القصر لن تجدي
طريقك للعودة".

وقفت أمامها:

"لكنك تعرفين يا ألكيرا!"

أدارت رأسها متجاهلة:

"ليس من شأني".

_"هل حقًا علي أن أبقى أسبوعًا هنا حتى تستطيعي
الطيران بي؟"

أطلقت تنهيدة متعبة:

"كذبة... هم يحتجزونك ليرغموك على دفع ثمن
المكوث بعد أسبوع".

هتفت وأنا أقف أمامها:

"إذن خذيني".

ثم همست:

"أرجوك الكيرا".

ابتسمت قليلًا ثم حركت طرفي أصابعها السبابة
والإبهام:

"والثمن؟"

تسارعت نبضاتي... تقلصت عضلات معدتي...

نظرت إلى السماء... أغمضت عيني ثم زفرت.

أجبتها:

"سأدفع ما تريد."

نهضت من مكانها، ابتسمت برضى:

"أي شيء؟"

أومأت لها لتجيب:

"هيا بنا إذن."

استوقفتها:

"أريد أن أعرف الثمن أولاً".

ردت ببرود:

"ستعرفين... عندما تصلين إلى البوابة".

ترددت للحظة، ثم حركت رأسي إيجاباً.

أحنت ألكيرا أجنحتها، ثم نزلت على ركبتيها وهي تنظر إلي.

__ "ألن تحمليني بمخالبك هذه المرة؟"

ضحكت:

"لا... هذه مدفوعة".

ابتسمت قبل أن أقفز على ظهرها.

حركت أجنحتها ببطء. ازداد ضغط الهواء حولي،
تشبثت بريشها، أغمضت عيني قبل أن أفتحهما فوق
آيبروس.

البيوت الحجرية المتجاورة... والسوق الذي يلوح من
بعيد.

__ "منظرها جمي..."

انقطعت كلماتي.

شهقت، عندما تحول منظر آيبروس إلى رمال جافة...

كانت الصحراء التي التقيت الساحرة فيها.

نطقت ألكيرا بكلمات التهم الهواء نصفها:

"لقد... وصلنا..."

وقفت الساحرة تنتظر هبوطنا لتتطرق:

"هربت من القصر؟"

باغتتها الكيرا بصوت حاد:

"لا أظن أمور القصر تخصك".

أومأت الساحرة وهي ترتجف:

"ما... ما هو... الثمن؟"

أجابتها الكيرا ببرود:

"الملك".

لم يسمع لحظتها سوى صوت النسيم الحار.

لم تسألها الساحرة، ضربت عصاها على الرمال.

شعرت بالهواء يلف جسدي قبل أن أفتح عيني على
ساحة فارغة، جدرانها تشبه سقفها، وحتى أرضيتها
كأنها علبة صغيرة.

وأمام عيني، استقرت بوابة سوداء...

أو أنها لم تستقر، بل كانت تتحرك في الهواء ككيان
مخيف.

بجانبيها حجر كبير، نُقشت عليه قطرة صغيرة.

أشارت الساحرة بالسكين الحاد:

"ضعي بعضاً من دمك هنا... وستنجين".

قاطعتها الكيرا:

"ليس بعد!"

عقدت حاجبي لتكمل:

"لديها حساب عليها تصفيته".

ثم نظرت إلي:

"الثن... أنسيتي؟"

شعرت بمغص حاد في بطني، انتظرت إجابتها، لكنها
اختفت.

صارعت للوقوف على قدمي وأنا أنتظرها، لتظهر
أخيراً...

لم تكن وحيدة...

بل كانت تجر الملك خلفها ككبش فداء.

ثم قالت بنبرة حادة:

"اقتليه".

نظرت إليها بارتباك، ثم إلى الملك:

"أقتله؟ لن أفعلها... مستحيل".

شدتني من ياقة فستاني:

"راهننت على الثمن، والآن ادفعيه".

قلت ببطء وأنا أحاول التحرر من قبضتها:

"لم لا تفعلينها... وحدك؟ استطعت جره إلى هنا".

أرخت قبضتها ثم ضحكت:

"لعلها ستكون مفاجأة جديدة عن عالمنا".

ثم أشارت نحو الملك:

"هذا الذي أمامك... لا يستطيع قتله سوى زائر".

نظر إليها الملك بترج:

"الكيرا... تقتلينني؟ أكل هذا لأنني أحببت أمك؟ كيف تقتلينني؟ لا تزال في جسدي أجزاء منها".

نظرت إليه الكيرا نظرة لم أستطع تفسيرها، صمتت قليلاً.

هتف الملك وهو يضحك كطفل صغير:

"سامحتني! أعلم أنك طيبة... لست وحشاً".

لم تتحرك ألكيرا، وجهت نظرها إليه مجدداً، قبل أن تتحول عيناها إلى الأزرق الجليدي.

ارتفع شعرها في الهواء ثم نطقت بصوت أبج:

"لا تدنس اسمها بين شفتيك مجدداً".

ارتجت جدران القاعة، برز شق عميق امتد من أسفل جدارها وصولاً إلى سقفها.

تقدمت ألكيرا نحو الملك، كانت خطواتها تحفر الأرض من تحتها.

أمسكت به ثم غرست مخالبها في طرف رقبتة وقالت:

"صحيح أنني لن أستطيع قتلك... لكنني سأت لاذ بتعذيبك".

صررت أسناني وأنا أراقب أظافرها تنهش لحمه ببطء.

نطقت بعبارات مكتومة:

"لا تعذبيه... سأقتله".

أدارت رأسها نحوي ببطء شديد، رمقتني بنظرة مخيفة
قبل أن تدفعني نحوه.

أمسكت الخنجر بطرف أصابعي، نظرت إلى نصله
الفضي قليلاً، ثم تقدمت نحو الملك والدموع تخنقني:

"أسفة!"

صرخ بصوت متهدج:

"الكير... أمك لم تمت".

نزلت خصلات شعرها، وقفت تستمع لكلامه، لم
تصدقها، كانت تبدو منفصلة عن الواقع لكنها تتشبث
بآخر أمل.

أكمل الملك:

"الزوار لا يموتون... هم يفقدون جزءًا من أرواحهم
فقط".

باغته بسكين اخترق صدره:

"دفنتها بيدي هاتين".

قالت جملتها وهي ترفع كفيها للهواء.

ابتسم الملك بخبث:

"يمكنك التأكد... من أختك".

نظر الجميع إليه باستغراب ليجيب وهو يشير إلي:

"أختك التي تقف بجانبك".

وخزة في صدري... ضيق في نفسي... هكذا شعرت حينها.

ردت الكيرا:

"أختي؟ ندى؟ ألم تكتف من الأعيك؟"

"_ يمكنك رؤية الصورة في قلاذتها... أمك لم تمت، بل فقدت جزءًا من روحها... فقدتك أنت".

قبل أن أرمش وجدت الكيرا تمسك برقبتي:

"قلاذتك... أين هي؟"

استسلمت لقبضتها، لم أتحرك، لم أجب.

حررتني.

ارتجفت يدي وأنا أسحب القلادة من جيب فستاني.

خطفتها من يدي.

نظرت إليها...

جثوت على ركبتني... أنتظر حكمها، إنكارها.

نطق الملك:

"لن تتذكرك... بدأت حياتها من جديد في عالمها حيث تنتمي".

اهتزت الجدران... انفجرت الحجارة فوق رؤوسنا.

كانت الكيرا تشتعل حقًا هذه المرة.

ريشها تحول للبرتقالي المحمر، شعرها صار أشبه
بشعلة متقدة، أما عيناها فلم تختلفا عن لون ريشها.

صرخت:

"سأقتله... سأقتله مثلما قتلها... مثلما قتل أحلامي...
سأحرقه".

"_ سيموت ثم ماذا بعد؟ لن تشعري بشيء... ستبحثين
عنه مرة أخرى لتروي ظمأ حقدك، لكنك لن تجديه...
ليس القتل عقابه... بل الانتظار".

تقدمت نحوها، وضعت كفي اليمنى على قلبها:

"لم ترده هكذا يومًا، صحيح؟ أمنا لم تكن تنتظر
انتقامك... بل تنتظر ك أنت".

انزلقت دمعة لتطفئ الشعلة...

العيون البنفسجية والريش الأزرق غطى جسدها من جديد.

لفتني بذراعيها بقوة...

خبأت رأسها في كتفي كطفل صغير.

تحسست مرارة دموعها عليها، نطقت بصوت مختنق:

"لن تعود... لن تعود إلي".

ابتلعت ريقها أخيرًا، سحبت رأسها عن حضني ثم قالت بهدوء:

"كيف هي؟"

امتدت ابتسامتي على وجهي، حتى ظهرت الغمازة في
خدي الأيسر:

"هي بخير".

تمعنت ألكيرا في غمازتي قبل أن تمسح على وجنتي:

"تذكرني بها... فهمت الآن".

حركت نظري نحو الملك ثم سألتها:

"هل تسمحين؟"

أومأت بهدوء، قبل أن تنهض من مكانها وتفرد ريشها.

تشبثت بظهرها قبل أن تطير في السماء، ثم تهوي
بمخالبها على الملك الجالس في الأرض كجرو صغير.

استلته بين مخالبها، ثم واصلت طريقها.

نزلنا وسط سوق آيبروس الكبير.

صرخت وأنا أشير نحو الملك:

"من ترون أمامكم؟ ملك عادل، صحيح؟"

هتف الجميع باسمه قبل أن أكمل:

"ربما لأنكم لم تشهدوا المجازر... الاحتيال... قبل سنوات شنق واحد منكم ظلماً، وماتت زائرة طمعاً منه".

ثم نظرت إلى الكيرا.

باغتتني الاعتراضات كسرب يعرف طريقه، كانت جميعها تهتف باسمه.

فرت ضحكته من بين أسنانه... ضحكة ساخرة.

وضعت الكيرا يديها على رأسها، وانزوت على نفسها.

ثم ظهرت فجأة...

ظهرت الساحرة، كقدر يبدد الظلم.

رفعت عصاها لتظهر صورة معلقة في الهواء.

كانت تلك المرأة تعانق ابنتها الصغيرة، ذات الشعر
الأبيض، ثم ابتسمت لها لتظهر غماسة في خدها
الأسير...

كانت أمي.

سحبها الجنود بقوة، ثم سلمت للأمير...

كانت توصلاتها تضرب عرض الحائط بين ابتساماته
الخبیثة.

اقتحم الغرفة كائن بفرو كثيف، كشر عن أنيابه قبل أن
يهاجم الأمير بمخالبه، ثم حمل زوجته وفر هاربًا.

ثم اختفت الصورة لتظهر أخرى للجنود وهو يغرسون
السهم في جسد والد الكيرا.

علقوه في ساحة كبيرة على مقبض حديدي بارد،
وجُرت زوجته إلى نهايتها.

كان الماضي يروي نفسه من جديد أمام الكيرا...

جاهدت لكبت دموعها... غضبها... حرقتها.

مررت يدي على كتفها لتضمني إلى صدرها وتهمس:

"شكرًا لوجودك".

تذكرت كيف عبرت الباب، كيف بكيت... كيف شعرت
بالظلم.

لم أكن أظن يوماً أنني سأكون ممتنة لهذا...

أختي التي كنت أبحث عنها في بُعد آخر.

انتشلتني صوت صياح الأهالي... في رفض للملك.

أمام البوابة...

وقفت بجانب ألكيرا أنظر للحجر الكبير، لتتطرق
معتزة للمرة الخامسة:

"لكن لماذا؟ قد أستطيع العبور معها".

ردت الساحرة بنفاذ صبر:

"أخبرتكم أنه لن يمر سوى من لديه دماء بشرية".

أحنت ألكيرا شفتيها ثم نظرت إلي وفتحت ذراعيها.

ارتميت في أحضانها، دفنت رأسي في نعومة ريشها...

لم أرد لهذا العناق أن ينتهي، لكنه كان كذلك.

نطقت ألكيرا من بين شهقاتها:

"أخبريها أنني أحبها... حتى إن لم تذكريني فأخبريها أن ألكيرا تحبها".

أومأت لها وأنا أشعر بغصة في حلقي.

مررت طرف السكين على جلد معصمي دون أن ألتفت،
بللت الحجر ببعض القطرات لتفتح البوابة أمامي:

"وداعًا ألكيرا... وداعًا أيبروس".

رميت بقدمي داخلها، أحسست أنها تسحبني داخلها.

سقطت على أرض الغرفة الحجرية، راقبت البوابة
تتلاشى أمامي وتتلاشى معها ملامحها...

ألكيرا.

زفرت وأنا أنظر لسقف الغرفة، ثم إلى الضوء من
بعيد...

طريق الخروج...
حركت رأسي إلى يميني:

"ألكيرا؟"

فزعت من مكاني.

ألكيرا بجسد فتاة رشيق وفستان بنفسجي بلون عينيها.

فتحت عينيها ببطء، تجولت بهما حول الغرفة، ثم
صرخت:

"لقد فعلتها! ندى، هذه أنت، صحيح؟"

حركت رأسي إيجاباً:

"كيف؟"

غمزت ثم ابتسمت لي:

"هجينة، أنسيت؟ بعض الدماء البشرية لا تزال تسري
في أوردتي".

الكاتبة عبير

"بعض الأبواب لم توجد لتغلق فبعضها
يحكي و بعضها يعاش"

أعضاء محبرة الأوركيد
الأدبية

المشاركات في الرواية

الكاتبة زينب

الكاتبة ميرانال

الكاتبة نهرا

الكاتبة موهي

الكاتبة لهرار

الكاتبة شيماء
مسعودي

الكاتبة إبتسام
الهرادي

الكاتبة حلاليب
خولة

الكاتبة سلمى

الكاتبة عراف
كهث

الكاتبة عبيد